

العـــــام الجديد

نفتتح هذا العدد الاول من السنة الجديدة بالشكر للقراء الذين آزرونا اما بالاشتراك واما بشراء اعداد المجلة . كما نشكر جميع الكتاب الذين يوالون خدمة المجلة بثمرات اقلامهم وخلاصة دراستهم . ويرى القراء اننا قد الغينا باب « سير الحوادث » نزولا على رأى بعض الذين نثق باخلاصهم للمجلة الجديدة وحرصهم على بقائها

كما أننا لايسعنا الا الشكوى من فريقين من المشتركين . احدهما اولئك الذين لايزالون متأخرين فى اداء الاشتراكات . فانهم يكلفوننا عنتا كبيرا فى تكرار تنبيههم وارسال المحصلين اليهم . والفريق الاخر هؤلاء المشتركون الذين ادوا اشتراكاتهم لأشخاص لاحق لهم فى تحصيلها

ونرجو من جميع المشتركين الا يدفعوا شيئا لمحصل الا اذا كان الايصال موقعا عليه بامضائنا .

والا فيرسل الاشتراك بالبريد الى عنواننا ١٢ شارع نوبار (مكتب الدواوين) بمصر

وانا بعد ذلك أمل فى قرائنا وهو عرض هذه المجلة على أصدقائهم حتى يشتروها أو يشتركوا فيها

سلامة موسى

البيرت شفيتزار

مفكر ألمـــــانى

يرد اسم البيرت شفيتزار كثيراً فى المجلات الفلسفية وقــد ذاعت له مؤلفات لفتت النظر واحدثت ضجيجا فى بعض الاوساط الفلسفية والدينية . ولذلك رأينا من حق قراء هـذه المجلة ان يعرفوا شيئا عن هذا المفكر

والبيرت شفيتزار فيلسوف ألمانى يعيش الآن فى مدينة أو قرية لامباريليـه فى افريقيا الغربية الفرنسية . وهو طبيب يدير مستشفى هناك لعـلاج الزنوج . وقد نشأ فى الزاس وتعلم فى جامعة ستراسبورج وحصل على شهادة اللاهوت واحترف الوعظ مدة من حياته . وهو الآن حين يرجع الى المانيا يعظ فى الكنائس . ولكنه فى مدة دراسته للاهوت درس الموسيقا وبرع فى الايقاع على الاورغن وقد تكسب مدة طلبه بالجامعة من هذا الايقاع فى الكنائس وفى الحفلات العامة . وللايقاع الموسيقى فى كنائس أوربا قيمة كبيرة جدا وتشتهر بعض الكنائس باراغنها كما تشتهر بوعاظها سواء

والبيرت شفيتزار متعمق فى درس الموسيقــا وله كتاب عن الموسيقى باخ يشرح موسيقاه وينتقدها فى ٨٤٤ صفحة كبيرة . فليدرك هذا الذين يعتقـدون أن الغناء والموسيقا « طقاطيق » وتلحين للتثاؤب وتنغيم للتأوه

وكان شفيتزار فى مدة تحصيله للاهوت قد التحق أيضا بكلية الموسيقا . فحصل على لقب دكتور فى الموسيقا . فلما أتم دراسة اللاهوت والموسيقا وحصل فى كل منهما على لقب دكتور احترف الوعظ والايقاع على الارغن فى الكنائس مدة . ثم قلقت نفسه ورأى أن للدين معنى ومغزى أكبر من الوعظ ومن الايقاع على الارغن . فقصد الى باريس وهناك التحق بكلية الطب وهو فى الثلاثين من عمره وحصل على شهادة الطب وعمره ٣٦ سنة . وعندئذ ترك باريس وسافر الى افريقيا وهناك أسس

مستشفى لمعالجة الزنوج فى لامبارينيه

وقبل أن نشرح آراء هذا الرجل الدينية يجب أن ينظر القارىء فى حياته . فانه ألمانى مثقف نشأ فى بيت قد احترف القسوسية فيه عدد كبير . وقد امتاز بعبقرية موسيقية قلما تعرف فى غير الالمان . وقد درس الدين والموسيقا والطب . وكانت دراسة الطب أشبه الاشياء عنده بالثورة على دراستيه السابقتين اذ هو شرع فيها بعد أن جاز الثلاثين . ويمكن القارىء هنا أن يلحظ المغزى فى هذه الثورة. فان الرجل يمتاز بمزاج تدينى ونفس مشبعة بالبر والحب البشرى. كما تمتاز بعواطف فنية أنيقة فانه يحس بشرور العالم وكأنها وخزات بل طعنات فى جسمه . وقد انتهى من دراسة الدين الى ان الايمان الصحيح هو العمل لخدمة البشر . فترك اوربا لكى يعيش فى قرية نائية تشويها الشمس بين السود فى افريقيا

وبينا هو فى نشاطه بين مرضى الزنوج شبت الحرب الكبرى . ولما كان يقيم فى أرض فرنسية وهو المانى فان حكومة فرنسا اعتقلته وحملته هو وزوجته الى معتقلاتها حيث بقى سنوات ثم افرجت عنه . فعاد الى افريقيا حيث هو الآن فى سنغال الفرنسية

وللرجل جملة مؤلفات نذكر اسماء بعضها : ملكوت الله . البحث عن يسوع فى التاريخ . بولس ومفسروه . الحضارة والاخلاق. فساد الحضارة واصلاحها. على حافة الغابة البكر . باخ .وهذه الاسماء تدل على الهموم الذهنية والفنية التى تشغل تفكيره . وقد قلنا ان مزاج شفيتزار تدينى

البيرت شفيتزار

وهو كذلك . ولكن يجب ان نعترف بأن المتدينين السنيين من المسيحين لا يمكنهم ان يؤيدوا نظرياته الدينية فى المسيح . بل الارجح انه يعد فى نظرهم كفراً . ولكن مع ذلك يجب ان نذكر ان هذا الكافر ترك اهله وترك الحضارة والعيش الناعم بين المتمدنين لكى يعيش اخشن عيش واقساه فى افريقيا بين الزنوج يعالج امراضهم . بل لقد انتقلت اليه من هذه الامراض عدوى الدوسنطاريا وكانت لسبب ما قد تفشت بشكل واقدة فبقى نحو ستتين وهو اقرب الى الموت منه الى الحياة . واحتاج الى شق بطنه واجراء عملية جراحية خطيرة لكى يبرأ من عواقب هذه الدوسنطاريا

وغرضنا من كل ماتقدم ان نشرح نظريته فى المسيح . فانه يرى ان السبب للون الخاص الذى تمتاز به الاخلاق المسيحية من الدعوة الى الحب البشرى والتسامح العام والرغبة الحارة فى الاخاء الى ترك الانانية وكراهة جمع المال والعقار — هذه الاخلاق التى ما زلنا نعدها مثلا اعلى للكمال الانسانى الذى لا نكاد نبلغه انما هى نتيجة اعتقاد السيد المسيح بان يوم الاخرة قد اقترب وان ملكوت الله — فى العالم الاخر — سوف يدخل فيه الصالحون الذين يسيرون على هذه المبادىء . وما دمنا قد اوشكنا على الموت ومادام الحساب الاخرة قد اقترب منا فان المنطق يقضى بان نأخذ بالاخلاق المسيحية . اذ ليست هناك فائدة من جمع المال والعقار . فلمن نجمع ؟ ونحن الكاسبون اذا ضربنا احد على الخد الايمن فادرنا له الايسر . لاننا بذلك قد كسبنا فضلا سيحسب لنا فى يوم القيامة القريب . وهكذا الشأن فى سائر الاخلاق المسيحية التى تعلل جميعها بان البقاء فى الدنيا قد اوشك على الانتهاء . ويرى شفيتزار ان بولس الرسول قد فهم المسيحية على هذا الرأى ايضا اى انه اعتقد بالنهاية القريبة للعالم . فكأن الاخلاق المسيحية هى التهيؤ للحساب المنتظر للبشر

هذا هو رأى شفيتزار فى المسيحية . وهو يبنيه على تفسير الاناجيل والرسائل وعلى درس العقائد التى فشت بين اليهود قبيل المسيح من حيث انتظار « ابن الانسان » الذى يخلصهم وتعميم ملكوت الله . والمجددون فى المسيحية يقولون ان « ملكوت الله » انما قصد به اصلاح العالم وتعميم السعادة على الارض . ولكن شفيتزار يرى ان هذا القول لا يتفق وكلام السيد المسيح .

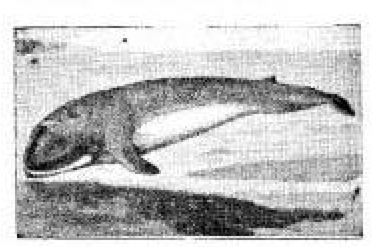
واما اراء شفيتزار الاخرى فسوف نعالجها فى فرصة اخرى

حماية القيطس

القيطس هو اكبر حيوان على الكرة الأرضية . إذ يبلغ وزنه أحيانا نحو ١٥٠ أو ٢٠٠ طن أى مايساوى نحو عشرين فيلا . ولكن هذا الحيوان يوشك أن ينقرض . وقدعقد مؤتمر منذ أشهر فى لندن لبحث الوسائل لحمايته . فان الاقبال على صيده قد أصبح امعانا فى قتله لاستخراج دهنه وعظمه . والدهن يستعمل للصابون والزبدة الصناعية وفى المواد الحربية المتفجرة .

وقد شرع الاوربيون يصيدون القيطس بالمطرد فى خليج بسكاى منذ عشرة قرون حتى انقرض فاتجه الصيادون نحو الشمال حول القطب واخترع أحد النروجيين مطردا يطلق من فوهة مدفع وهو مع ذلك مربوط بالسفينة . وبالمطرد قنبلة صغيرة اذا بلغت القيطس انفجرت فيه وقتلته . وأوشك صيد القياطس حول القطب الشمالى أن يبيدها

وعندئذ اتجه الصيادون الى القطب الجنوبى . وهناك تتكاثر القياطس وهى كبيرة الحجم . وقد بنيت سفن كل منها مصنع وحصن حربى. فالقيطس يقتل بالمدافع . والسفينة تسلط عليه طلمباتها فتمص منه دهنه وتخزنه فى جوفها . ثم تستخرج ثمين العظام منه وتترك الباقى الذى لامنفعة منه فى البحر وقدبلغت القياطس المقتولة فى موسم الصيد فى العام الماضى خمسة وأربعين ألفا . وأصبحت القياطس فى خطر الانقراض



وقد انتهى المؤتمر الذى ذكرنا الى منع الصيد فى بقع معينة تترك حرما للقياطس . كما أنه حدد مدة الصيد بتسعة أشهر للسنة كما منع صيد القياطس الصغيرة

نظرية الأدب

ملخصة عن كتاب قواعد النقد الادبي من
تأليف لاسلز أبر كرومبي استاذ الأدب الانجليزى
بجامعة أكسفورد

استقدمت الجامعة المصرية فى الشهر الماضى الاديب الانجليزى المعروف لاسلز أبر كرومبي أستاذ الأدب الانجليزى بجامعة أكسفورد لكى يلقى أربع محاضرات عامة عن التجديد فى الأدب. وهذا عمل حسن حبذا لو سارت فيه الجامعة الى نهايته فطبعت هذه المحاضرات واذاعتها ليطلع عليها من لم تمكنه الظروف من الاستماع للمحاضر.

وقد رأينا بهذه المناسبة ان يقف قراء هذه المجلة ـ التى تنزع نحو التجديد فى الأدب والحياة ـ على شىء من آراء هذا الأديب العظيم فلم نجد خيراً من أن نلخص لهم نظريته فى الأدب كما جاءت فى كتاب «قواعد النقد الأدبى» وهو رسالة نشرت منذ بضع سنوات فى كتاب ضخم عنوانه «خلاصة العلم» الحديث اشترك فى تأليفه نخبة من الأدباء والعلماء الممتازين. وقد نقل هذه الرسالة إلى العربية نقلا أمينا دقيقا بارعاً الدكتور محمد عوض محمد الاستاذ بكلية الآداب. وقد اعتمدنا على ترجمة الدكتور عوض فى هذا التلخيص.

* * *

كان سقراط أول من فطن إلى ما هنالك من فرق بين ملكة انتاج الأدب وملكة نقد الأدب. فان سقراط عندما ذكر الشعراء وما دار بينه وبينهم من حوار قال لقضاته: —

« لقد تناولت الأشعار التى بذل أصحابها عناية كبيرة فى تأليفها وسألت كلا منهم عما عناه بشعره فلم يكن منهم من استطاع الاجابة على سؤالى هذا. ولقد جمعنى وإياهم مجلس ضم كثيرا من المعجبين بهم وبأشعارهم فلم يكن بين الحضور رجل إلا وهو أقدر على التحدث عن تلك الأشعار من الشعراء أنفسهم » ثم قال: — « لقد أدركت حينئذ أن الشعراء لا يكتبون الشعر لأنهم حكماء، بل

لأن لديهم طبيعة أو هبة قادرة على أن تبعث فيهم حماسة . إذن فالشعراء — من هذه الناحية — لا يختلفون عن الأنبياء والكهنة الذين ينطقون بالكلام الحسن ، دون أن يعرفوا ماذا يقولون ، يتضح لنا من أقوال سقراط أنه أراد من الشعراء أن ينقدوا شعرهم بأنفسهم فألفاهم عاجزين . وهذه هي الخطوة الأولى في تاريخ النقد . فقد ذكر سقراط للمرة الأولى في جلاء ووضوح أن النقد نوع خاص من العمل الأدبي يمتاز عن الأنواع الأخرى . ثم شرح لماذا كان ممتازا عنها . فان إنتاج الأدب أو إنشاؤه إنما مرجعه الى ملكة أو هبة خاصة في النفس ، هي ملكة الحماسة أو بعبارة أخرى الالهام أو البصيرة . وأما النقد فمرجعه القدرة على التحليل المنطقي في صورة مطابقة للقواعد الثابتة المعقولة .

وقد كان بوسع سقراط أن يستمر في التفسير فيبين ان المقدرة على تذوق الأدب تختلف أيضا عن المقدرة على تحليله تحليلا منطقيا . وأن المقدرة على التذوق والمقدرة على الانتاج يصدران عن طبيعة واحدة في النفس ولكن هذه الطبيعة تكون في الانتاج موجبة بينما هي في التذوق سالبة .

نستطيع إذن أن نقول إن حياة الأدب تتطلب ملكات ثلاثا : الأولى ملكة الانتاج أو الانشاء والثانية ملكة التذوق . والثالثة ملكة النقد . وأهم ما تمتاز به ملكة النقد أنها يمكن أن تكتسب . لأنها تعتمد على قواعد منطقية خاصة . قابلة لأن ترتب بحيث يتألف منها نظام خاص ، ومن الممكن دراستها وتطبيقها في دقة وعناية . ولكن ليس هنالك قواعد ترشدنا إلى كيفية ابتكار الأدب ولا الى كيفية الاستمتاع به . والنقد عاجز عن خلق هاتين الملكتين عند الناس ، إذا لم يكن لهما وجود من قبل فهو اذن يفترض وجودهما افتراضا .

على أن ملكة النقد وإن كانت منفصلة عن كلتا الملكتين ، قد توجد وإحداهما جنبا إلى جنب . فمن الجائز جدا أن يكون الشاعر أو القارىء للأدب ناقدا قديرا ومن الجائز أن سقراط لم يكن موفقا في شعرائه الذين حاورهم ذلك الحوار .

بعد ذلك أخذ المؤلف يوضح الفرق بين ما يمكننا أن نسميه النقد العام . وبين النقد الخاص أو النقد الأساسي . فالاول يتدرج من الأدب العام الى القطعة الأدبية الخاصة . والثاني يجري بالعكس أي من الخاص إلى العام . ما معنى كلمة الأدب ؟ ما الخصائص المشتركة بين أنواع الأدب التي بها

أصبح له هذا الكيان المستقل ؟ ما الوظيفة التى يؤديها الأدب ؟ هذه هى الأسئلة التى يتناولها النقد العام بالبحث . أى أنه يبحث «نظرية الأدب» وهى نظرية لاحقة بذلك النوع من العلوم الفلسفية الذى يطلق عليه اسم «علم الجمال» اما النقد الخاص فانه يتناول البحث فى مزايا القطع الأدبية المختلفة .

وليس من الممكن ان نفصل النقد العام عن النقد الخاص . فنظرية الأدب لابد لها من الرجوع دائما الى صلب الأدب . اى انها لا غنى لها عن الرجوع الى أمثلة أو قطع أدبية معينة للاستشهاد بها وكذلك النقد الخاص فلا بد له من ان يعتمد على شىء أقوى وأمتن من مجرد أثر تحدثه فى النفس ميول شخصية . أو طوارىء عاطفية . أى يجب أن يكون نقداً موضوعيا لاذاتياً . فعلى أى شىء يعتمد ؟ على القواعد العقلية لنظرية الأدب أى على قواعد النقد العام . لأن هذه القواعد التى تبين لنا طبيعة الأدب عامة ووظيفته التى يؤديها ، هى وحدها التى تستطيع أن تقرر لنا ما هو لازم وما ليس بلازم لكل نوع من أنواع الأدب . يتضح من هذا ان النقد العام «نظرية الأدب» والنقد الأساسى متصل كل منهما بالآخر لايستطيع احدهما ان يظهر فى صورته الكاملة مالم يشترك معه الآخر . حتى أننا لو أردنا أن نقصر كلمة النقد على مجرد تقدير المزايا التى تتصف بها قطعة أدبية معينة . فلن نستطيع أن نضمن صحة الحكم مالم نرجع فى تحليلنا وتقديرنا الى القواعد العقلية لنظرية الأدب .

ثم حاول المؤلف فى الفصل الثانى من رسالته أن يعرف فن الأدب تعريفا دقيقا فقال . هل وظيفة الأدب التعبير عن شىء فقط ؟ أم ان هناك أيضاً جانباً آخر لايقل عن هذا شأنا وهو تقبل هذا الشىء المعبر عنه ؟ . اى اذا حدثتك عن شىء مارسته أو أحسسته فان ألفاظى هى بالنسبة الى وسيلة للتعبير عن تجاربى . ولكنها بالنسبة اليك أنت وسيلة لتأدية هذه التجارب . فاذا كان الادب معبراً عن نفس المؤلف ولكنه لايؤدى للقارىء شيئاً فليس جديراً بأن يدعى أدباً . اذن فمن الحق ان نقول ان الأدب يؤدى الأشياء كما انه يعبر عنها . لهذا كان لابد لقضية الأدب من اصطلاح يتناول كلا هذين الاعتبارين على السواء . ولعل أحسن اصطلاح لهذا الغرض هو « التوصيل » أى ان الأدب هو الصلة التى تحدث بين المؤلف والقارىء « أو المستمع » أما العبارة اللفظية فما هى الاداة لفن الادب . فاذا تكلمنا عن

فن الأدب فاننا نفترض وجود اصطلاحات ثلاثة. الأول والأخير منها هما المؤلف والقارىء. والوسط الذى يصل مابينهما هو الكلام . وهذا هو مانرمى اليه بقولنا ان الأدب صلة .

ثم اننا اذا تحدثنا عن الأدب فاننا نعنى بالأدب الصرف وسنتجاهل الأدب التطبيقى : اى سنتجاهل كل شىء كتب أو ألف لكى يخبرنا خبراً أو يقنعنا بقبول رأى أو قضية وكل تعبير يرمى الى غرض سوى مجرد وجوده لذاته .

قلنا ان فن الأدب هو التعبير الذى يمكن ايصاله . أو بعبارة أدق ان الفنان حين يعبر عما يخالج نفسه يتصل ساعتئذ بشخص آخر هو القارئ أو المستمع . ولكن ما الشىء الذى يوصله الفنان . فى حالة الأدب التطبيقى؟ الجواب سهل . فهو يخبرنا بامور أو بقضايا أو بنظرية . ولنمثل لذلك بكتاب أصل الأنواع لدارون أو بكتاب جيبون عن انحطاط الدولة الرومانية . ولكن ما الذى يريد الشاعر أو الفنان الفح ان يوصله ؟ ما الذى يراد ايصاله الى القارىء عندما يكون التعبير مقصوداً لذاته ؟ ليس لذلك سوى جواب واحد وهو : التجربة . التى نقبلها ونقدرها لمجرد أنها تجربة لا لشىء آخر : مادة الأدب . اذن هى التجربة المحضة . وهذا لايحد من مادة الأدب . ولامن المدى الذى قد يذهب اليه . فليس فى الحياة كلها أمر لايجوز اعتباره تجربة قيمتها فى ذاتها . لكن كيف يستطيع الكلام أن يوصل التجربة ؟ ليس فى العالم شىء هو ملك الانسان الخاص ، الذى لايشاركه فيه أحد كالتجارب التى يمارسها لأنها مادة حياته الخاصة . ولا يمكن بأية وسيلة من الوسائل أن يشاطر الانسان إنساناً آخر حياته الخاصة به . ولكن فى وسع الواحد منا ان يقلد فى حياته تجارب الآخرين بأن يتخيلها . فاذا اراد المؤلف ان يوصل التجربة التى مارسها الى قرائه فلا بد له أن يبعث فى أنفسهم صورة مماثلة للتى فى نفسه . ولا بد له بواسطة الألفاظ أن يحرك خيال قرائه ، ويسيطر عليه ، بحيث تصبح تجاربهم بقدر الامكان تقليدا صحيحا لتجاربه . ولكى ينجح فى هذا يجب عليه أن يجعل ألفاظه محاكية لتجاربه . أى رمزا لتلك التجارب . فما وظيفة الالفاظ فى الأدب الا أن تكون رموزا لان التجارب لاتحدث على صورة ألفاظ . فيجب على المؤلف أن يترجم تجاربه الى الالفاظ التى هى رمز لها . لكى يستطيع القارىء أن يحيل هذه الرموز بدوره الى تجارب . ولكن الالفاظ وسيلة رمزية محدودة فى حين انه ليس هنالك حد لتجارب

الخيال البشرى . ومن هنا كان الاديب مضطرا لاستخدام وسائل محدودة كرمز لتجارب غير محدودة فكان لابد له أن يعرف كيف يجمع فى فنه كل ما احتوته الالفاظ من قوة التعبير والتصوير . بحيث يستطيع أن يستثير خيال القارىء ويصرفه كيف شاء . ويجب أن تكون الالفاظ صالحة لان تحكى تلك التجارب وتصورها بصور واضحة . والا استحال على المؤلف نفسه أن يتمثل تلك التجارب ويصورها فى ذهنه . فما بالك بالقارىء . ولهذا لابد لفن الادب أن يصبح الى درجة كبيرة مجرد ايحاء وان أسمى ما يصل اليه فن الادب هو أن يجعل الايحاء اللفظى من القوة والسيطرة وبعد المدى والحيوية والدقة بمكان عظيم . لأن قوة الايحاء هذه هى التى تضيف شيئا آخر الى المدلول العادى للألفاظ . والذى يمتاز به الفنان الاديب على غيره هو الاحساس اللفظى . وآية ذلك علمه بما تستطيع الالفاظ أن توحى به وحيا . وهذا الاحساس اللفظى هو ، كذلك ، الذى يميز القارىء الذى يتذوق الادب عن غيره ممن لا يقدرون على تذوقه . وآية ذلك أن يستجيب الى وحى الالفاظ .

فيجب علينا اذن أن نفترض ان الاحساس اللفظى هو الشرط الاول لفن الادب . غير أن الالفاظ ليست كل شىء فى الادب . انها ليست شيئا سوى المادة التى تستخدم فى صناعة الادب . وهنا لك شىء آخر لا يقل أهمية عن المادة . هو الشكل أو الصورة . وهو مانستطيع أن نحكم به على القطعة الادبية من حيث هى كل . بل يمكننا من أن نجيب على السؤال الآتى :— ما الوظيفة التى يؤديها الادب ؟ لابد للتجربة أن تكون من الشدة بحيث تضطر صاحبها أن يتكلم باتقان وبراعة . أو بعبارة أخرى ، بحيث تبعث فى المؤلف القوة والنظام اللازمين لمجهود أدبى يستطيع به أن يخرج بواسطة الالفاظ رمزاً عن تجربته . وهذا الرمز يجب أن يكون صادقا دقيقا بحيث يرضى المؤلف به شعوره الفنى تمام الرضى . ولكن ما هو هذا الشعور الفنى الذى لابد من ارضائه ؟ هو تلك التجربة نفسها . تطلب من المؤلف عديلها اللفظى ، عديلها الذى لا يختلف عنها قيد شعرة . فهى هنا سيدة آمرة ولا بد للفنان أن يخضع لها كل الخضوع . ولكى يكون للتجربة هذا النفوذ يجب أن تكون حادة شديدة ومن الجائز أن نصف التجربة التى لها كل هذه السيطرة والهيمنة على نفس الفنان بأنها الالهام الذى يسبب اخراج القطعة الفنية . ان الفنان يستخلص تجربته من وسط بحر التجارب المتدفق ، ويستديمها باستبقائها فى مخيلته . فتزداد غنى لمجرد الاحتفاظ بها فى الخيال . ومثل هذه التجربة تمتاز أولا بحدتها

التي تتألف منها «الالفاظ» ثم بالوحدة التي تؤلف بين اجزائها المختلفة وتجعل منها تجربة موحدة في نفس المؤلف «الصورة» أو الشكل . فاذا أراد توصيل هـذه التجربة كما هي فلا بد أن يتناول تلك الاجزاء التي تتألف منها مادتها . وكذلك له بد له أن يتناول «الشكل» الذي يجمع شتاتها ويوحد بين أجزائها . وتلك الوحدة هي كانت بمثابة الالهـام للمؤلف . أي أن الصورة تتمثل فيها وحـدة الالهام كما أن اللفظ هو الذي تتمثل فيه مادة الالهام .

ان أهمية الصورة أو الشكل في الادب تبدو لنا واضحة جلية حين نتساءل : ما وظيفة الادب؟ ما الغاية التي نرمي اليها بايصال التجارب المحضة في صورة قصائد وقصص ومسرحيات ؟

طبع الانسان على الا يقنع بأن يكون مجرد كائن يمارس التجارب ممارسة بسيطة . بل إن قصارى جهده العملي والنظري ان يرى ويستكشف في تجاربه مغزى ومعنى . اذن فنحن نسعى أبدا وراء حياة كاملة المعنى والنظام . أو حقيقة فلسفية ، أو مثال خلقي راق . أو منفعة ملائمة . ولكن سعينا لايبلغ الغاية ولن يبلغها الا في الادب . لان الادب ليس فيه سعي وراء المغزى والمعنى . لان مجرد وجود الادب يجعل التجربة التي يعطينا اياها ذات مغزى . فاذا لم تكن التجربة ذات مغزى فهذا دليل على ان الادب لم يوفق لان يكون له وجود .

ولكن ماذا نقصد بكلمة مغزى ؟ نقصد بها مجرد العلاقة القوية التي تصل الأشياء بعضها ببعض . فالتجربة تكون ذات مغزى دقيق اذا كان كل جزء منها قد تركزت فيه صلات تربطه بكل آخر منها . وقد طبعنا على بغض ذلك الطراز من التجارب الذي يكون فيه كل شيء مفككا ضعيف الرابطة . كأن ليس بينه وبين سائر الاشياء صلة . أو كأننا لم توجد هـذه الاشياء معاً الا بمحـض الصدفة . والتجربة ذات المغزى هي التي لايدخل فيها شيء بمحض الصدفة . بل يكون كل جزء فيها متلائما ومتصلا بسائر الاجزاء ، بحيث يرمي الى تنظيم كل مرتب متسق . هكذا تكون التجربة في في عالم الادب . وتجربة الفنان التي استخلصها بخياله اليقظ من بين تيار الحوادث المتدفق . وعزلها وجعل منها الهاماً موحياً — انما هي تجربة محـدودة . ولكن كونها محـدودة هو الذي جعلها ذات وحدة ممتازة . تعطيها المغزى الخاص بها . ومن الممكن أن تمر بالقاريء لحظات يمارس فيها تجربة مشابهة لتجربة المؤلف . ولكن عدم قدرته على التعبير تعوقه عن ادراكها ادراكا صحيحاً . وتمنعه

من الاستمتاع بها . فاذا تضمن الادب هذه التجربة فانها تصبح فى متناولنا جميعا متى شئنا . وفوق ذلك — وهذا هو المهم — فان المغزى الذى يتضمنه الأدب ، يبسط أمامنا بكيفية تجعله اكثر وضوحاً وجلاء مما لو كان نتيجة لما يوحى به الواقع المشاهد فى الحياة . لأن الأديب الفنان ، بواسطة أداته الرمزية ، يبنى بالتدريج ، وبصنعة فائقة ، تلك الوحدة التى تتضمنها القطعة الادبية التى يخرجها فاذا كنا نعيش فى وسط عمل أدبى نكون دائما وسط سلسلة من الآثار الصغيرة ، التى نحس أن كلا منها يساعد فى تكوين الأثر الأكبر الذى هو «الصورة» التى يمتاز بها ذلك العمل الادبى ، فى شكله الكامل . فنصل الى الغرض الذى كنا ننتظره و نشتاق اليه من مطالعة ذلك العمل الادبى ، اذ نبلغ به — بدرجة تختلف كثرة أو قلة — الى التجربة ذات المغزى الكامل . وهذه هى التجربة التى نطمح اليها أبداً ولكننا لا نصل اليها الا فى الفن . اذ يظهر لنا فى تلك التجربة ذلك المغزى الوحيد الذى لابد لعقولنا منه . وهو الترتيب أو التنسيق الذى يشتمل كل شىء فى الوجود .

وظيفة الادب اذن هى التجربة الخالصة التى قيمتها فى ذاتها . أما القول بان وظيفة الأدب هى ان يعلمنا امراً أو يقنعنا بصحة شىء أو يحسن من اخلاقنا فهذا كله يخرج بنا عن فن الادب . ومن الممكن ان يؤدى الأدب كل هذه الاشياء ، ولكنه لم يكن أدبا لمجرد أدائه لها

كذلك . ليس من وظيفة الادب أن يكون جميلا . وانما نقضى له بالجمال اذا نجح فى غرضه الذى يرمى اليه . والذى يرمى اليه الادب ، بتعبيره عن التجربة ، هو أن يجعل التجربة ذات مغزى بنفسها من غير حاجة لأن نحكم عليها بأنها صادقة أو صحيحة ، أو نافعة أو مهذبة — وكل عمل أدبى يعطينا مثالا من تلك التجارب ذات المغزى التى نتوق اليها أبدا . وذلك بفضل الصورة التى يتخذها العمل الادبى . فالصورة فى الادب هى التى تجعل للتجربة مغزى . حقيقة أن مادة التجربة التى يتضمنها الادب ليست حدثا واقعيا ، ولكن من المستحيل فى التجارب الواقعة أن نجد مغزى كاملا مستقرا . فاذا أردنا مثل هذا فعلينا أن نطلبه فى التجارب المتخيلة . ومع هذا فان ذلك المغزى الكامل المتقن الذى نصادفه فى حياة الادب الخيالية ، هو بمثابة دافع قوى دائم يدفعنا نحو أشرف الجهود فى حياتنا الواقعية .

هذا هو ملخص نظرية الادب كما شرحها لاسلز أبركرومبي فى كتاب قواعد النقد الادبى. وعلى الرغم من انى كدت أنقل كلام المؤلف بالحرف كما ترجمه الدكتور عوض ، فانى أرى ان هذا لا يروى غلة القارىء الذى يطمح فى التوسع والاستقصاء . ولكن حسبي انى أردت ان أحفزه الى قراءة الاصل فى الانجليزية أو العربية على حد سواء.

عزمى الدويرى



الاستاذ عزمى الدويرى

هل الحرب تخدم الرقى البشرى

للاستاذ بشرى الضبع

يتكون الوجود الانسانى من عنصرين : الشخصية أو الفرد ثم الانسانية كفكرة . فاذا عرفنا هذا أمكننا أن نلق هذا السؤال : ما غاية الحياة ؟ أهى الشخصية أم الانسانية ؟ فاذا راعينا سير التطور وجدنا أنفسنا مضطرين إلى الاجابة بان الانسانية هى كل شىء . إذن فما قيمة الفرد فى هذا الخضم الكبير ، خضم الوجود ؟ قيمة الفرد تنحصر فى هذه الفترة الوجيزة من الزمن التى يقضيها على هذه الارض التى نعيش عليها . ثم فى الخدمات التى يؤديها فى سبيل قضية النوع الانسانى عامة «فوياز» و«برجسون» وأضرابهما سوف تذهب شخصياتهم ولكن رسالاتهم الى النوع البشرى سوف تبقى : هى تراث إنسان المستقبل . فاذا وضح لنا هذا جاز لنا أن نسأل : الحرب ؟ أهى تخدم الشخصية ؟ والجواب على هذا صريح وهو النفى . بل هى على العكس أكبر عدو للشخصية لأنها لا تقيم لوجودها وزنا . ومن هنا كان اختراع الشخصية لفكرة الخلود وتشبثها بها . إذن : أهى تخدم الانسانية ؟ هذا ما يدعيه دعاتها والمروجون لها . وهذا ما نريد أن نعرفه الآن

فهناك قوم يقولون انها ضرورية جدا للتقدم الانسانى ويستشهدون على ذلك بتاريخ الانسان نفسه وبطبيعة النفس البشرية . فيزعمون أن الانسانية لم تصل لهذه الدرجة من التقدم والرقى إلا بالحرب وان القوة الخالقة بذرت فى الطبيعة الانسانية من الميول والغرائز ما يجعلها تلتمس الحرب التماساً وهى مغمضة العينين ، لا لشىء الا لتحقيق غاية الحياة العظمى وهى الارتفاع بالنوع الانسانى.
وهؤلاء ينقسمون الى فريقين : فريق يزعم أن الحرب كانت ضرورية فى عصور التاريخ الماضية وما قبل التاريخ ولكن الانسانية قد وصلت الآن إلى درجة من التقدم يحتم عليها أن تستغنى عن هذه

الأساليب الفطرية . وأنه يمكننا بالتعاون أن نخدم الوجود الانسانى فى عنصريه :الشخصية بوجه خاص والانسانية بوجه عام . وعلى رأس هذه المدرسة «ولز» و«فرويد» و«بول فاليرى» . والفريق الآخر يقول أن الانسانية لا يمكنها أن تستغنى عن الحروب طالما كانت غايتها الارتفاع والتقدم ، وأنها سوف يصيبها الوهن ويعتريها الفساد إذا هى آثرت السلم . وعلى رأس هذه المدرسة «آرثر كيث» و «سبنجلر» . وهناك فريق ثالث يزعم أن النفس البشرية مسالمة بطبيعتها وأن الحرب شىء دخيل عليها تعلمته حين تعلمت الزراعة ومارست التجارة وأنشأت المصانع . وأنه بالمساواة بين الناس جميعا وبالتعاون والاخاء يمكننا أن نصل بالانسانية الى غايتها القصوى فنخدم بذلك الشخصية و الانسانية معا . وعلى رأس هذه المدرسة « اليوت سمث » « وسونى » .

يقول «فرويد» « إن فى النفس الانسانية غريزتان أساسيتان : غريزة الحب أو الكون ، وغريزة الموت أو الفساد . ولم يعوزه دليل على إثبات ما يذهب اليه . ومن هذا استشهاده بعبارة للشاعر الكبير « لهينى » قال : ان طبعى لهو أكثر الطباع سلاما . وكل رغباتى هى مأوى متواضع مسقوف بالقش . ولكنى أريد فوق ذلك فراشا ناعما وطعاما شهيا وزبدة طازجة ولبنا طيبا . أريد زهورا أمام نافذتى وبضعة شجيرات باسقات أمام بابى . واذا شاء الرب الصالح أن يجعل سعادتى تامة فليمنحنى تلك الغبطة الفائقة برؤية ستة أو سبعة من أعدائى مشنوقين على هذه الأشجار . ولكنى — وقلبى يدق بالعاطفة العميقة — سوف أعفو عن كل ما أرتكبوه ضدى من إساءة فى أثناء حياتهم . حقا ، انه يجب أن يسامح الانسان أعداءه ، ولكن لا يكون ذلك الا بعد أن يتثل بهم . » وانى لأسائل نفسى : ترى أهذا هو الذى يدفع رؤساء الدول والملوك الى الحرب ! اذن . ففى الانسان ميول هدامة تكره تكاليف الحضارة وقيودها وتلتمس كل طريق للظهور والعمل . والفرد فى الأمة يجد نفسه مضطرا الى كبت هذه الميول . ويتم هذا الكبت بالتربية وبتأثير روح الجماعة عليه ثم تتداخل تقاليد الجماعة وأخلاقها فى نفسه وتستحيل الى رقيب دائم يراقب رغباته وهواجس نفسه . وهذا هو الضمير أو العقل التقليدى . فالثقافة تطلب من الفرد أن يترك اللذة

المباشرة التى ينالها من الاستجابة المباشرة لرغباته الأساسية مفضلا عليها نداء الصالح العام : أى صوت الجماعة . والطبيعة أرادت فيه ذلك لاستمرار النوع ونمو الحضارة . فغريزة الجنس فى الجماعة تستحيل الى اخلاق تعويضية أى تسامى . وهى أما تسامى فى اتجاهها الأصيل أو تنحرف بعيدا عن مرماها . فهى مثلا تستحيل الى غزل وتعاطف والظهور بمظهر الرقة والظرف فى معاملة السيدات . أو فى عمل فنى أو اجتماعى .

والتسامى نوعان : كاذب وصحيح . أما الصحيح فهو اقتناع العقل المدرك بقيمة العمل الاجتماعى الذى يعمله والقدرة على تفضيل صالح الجماعة من غير حاجة الى كبت شديد . أى تستحيل هذه الاخلاق التعويضية الى صفات طبيعية فى نفسه ، لا يتصنعها أو يتكلف فى اظهارها . أما التسامى الكاذب فهو الاضطرار الى جهد شديد لكبت هذه الرغبات والاحتياج الى تصنع ماليس فى مكنته فلا تكاد تسنح الفرصة الملائمة حتى تفلت من عقالها وتروى ظمأها . ويمكننا أن نلاحظ ذلك فى الرجل حديث العهد بالثروة . فهو رغم مظهره النبيل تصدر منه أعمال تنم عن أصله الذى نشأ منه . وتدل على أنه لم يستطع تمثيل هذه الأخلاق الجديدة . وكذلك نرى ذلك فى الرجل الذى يراعى آداب المائدة مثلا فى مجتمع من الناس ولا يتقيد بها حين يخلو بنفسه فالتسامى لا يكون تاما الا اذا حدث الوفاق التام والتجانس بين عناصر النفس المختلفة .

ونحن حين نلتمس اسباب الحرب نجد أسبابا كثيرة تختلط علينا . ولكننا حين نمعن النظر نجدها تنقسم الى قسمين : أسباب بعيدة وأسباب قريبة ، أو أسباب أصلية وأسباب مثيرة فالأسباب المثيرة هى التى يسجلها التاريخ العام كاسترداد أرض أو رد اهانة أو المحاربة فى سبيل الوطن والدين أو تحقيق مثل أعلى يراه صاحبه ضروريا الرقى والتقدم كالفاشية والشيوعية والديمقراطية . أما الأسباب الحقيقية فهى هذه الميول الهدامة الكامنة فى نفس الانسان . فالأسباب القريبة تفعل فى النفس ما تفعله الخمر اذ تخدر العقل المدرك وتطلق العنان للرغبات الوحشية . فالحرب الموجودة الآن دليل قوى على أن التسامى الموجود فى الجماعات الانسانية تسام كاذب .

وحين تعلم الجماعة الانسانية الأولى الزراعة وتعرف الملكية الفردية يتخذ قانونها الذى يربط

أفرادها بعضهم ببعض شكلا آخر . فتنحصر السلطة فى ايدى أفراد قلائل هم أصحاب الثروة . وهؤلاء يأخذون فى مد سلطانهم بالاعوان الذين يكافئونهم بالمال والهدايا والوظائف الرفيعة أو يأخذونهم بالتهديد والعنف . ومن هنا يصطبغ قانون الجماعة بقانون اصحاب السلطة . فالخير هو الخير الذى يثبت أقدامهم فى مراكزهم ويؤكد سيطرتهم ويزيد فى ثروتهم . فتراهم يكافئون الأبطال ويمجدون الفروسية ويشيدون بتضحية النفس فى سبيل الوطن . وإنه لطبيعى أن يبذل الانسان كل مايستطيع من بأس للحصول على المال والعقار . ولكنه يقامر بحياته فى سبيل الشرف والحب . وهل هناك شىء يستهويه كما يستهويه الأمل الخلاب بتألق اسمه فى سماء المجد والشرف أو بالحصول على إكليل الغار الذى ينتظره عند عودته من فتوحاته وغزواته كل هذا ورثناه ولايزال يعمل عمله الحرب فى دائرة واسعة عظيمة . فالحرب هى حرب مهما كانت البواعث التى تحركها . وهى فى الغالب من تدبير أصحاب القوة والسيادة فى أى شعب من الشعوب . وهم لايعدمون خلق الامثال المختلفة يخدرون بها أعصاب من يستغلونهم انفسا. مادوهم مستجيبين فى ذلك بهذه الميول الغريزية الكامنة فى نفوسهم . فى هذا الزمن ولد العقل الانسانى أى هذه الاداة العقلية التى تستفيد من التجارب

كانت الغريزة هى التى تربط أفراد القبيلة بعضهم ببعض كما تربط جماعة النحل أو النمل أو القرود . وقد كانت فى ذلك الوقت أداة الحياة الوحيدة . ولكنها باختراع العقل ألقت على عاتقه عبء التقدم بالحياة الانسانية . ومن الاسف أننا لا نزال نعيش فى زمن الانتقال : الانتقال من الغريزة الى العقل . والغريزة لا تعرف حل المشكلات الا طريقا واحدا هو العنف والقتل . ولكن العقل يمتاز بأنه يقيس ويزن الأمور على ضوء تجاربه واختباراته الماضية وأسلوبه فى حل المشاكل التفاهم والاقناع

مشكلة الحرب انما هى مشكلة العقل والقلب وأريد بالقلب هنا هذه الناحية النفسية التى تحتوى على الغرائز الاولى والاستجابات التقليدية . أما العقل فيمتاز كما قلت بالقياس والوزن واقامة النظريات العامة والاستفادة من التجارب واستغلال القوى الطبيعية . ويحسن أن نصطلح على تسميته بالعقل

العلى ـ هذا العقل قد قطع مرحلة بعيدة المدى فى التقدم . أى أنه بلغ درجة عظيمة فى القدرة على السيطرة على العناصر الطبيعية ووسع من آفاق الحياة الانسانية وزاد فى حديثها . أما القلب فانه يسير فى تبلد وتلكؤ شديدين . بل انه فى الكثرة الساحقة من الناس لايكاديختلف عما كان عليه عند القبائل المتوحشة فاننا لا نزال نستعمل وسائله فى فض الخلافات الدولية وغير الدولية ، فاستجاباتنا العاطفية لم تتأثر حتى الآن بعدة اقرن العشرين الذهنية . بنتائج هذه العلوم الحديثة الناشئة كالبيلوجيا والاقتصاد.فقد نرى رجلا متضلعا فى الطب ، أى أنه يستعمل فى حياته العامة التى تتصل بناحيةخاصه من نواحى جهوده أداة القرن العشرين أى العقل . ولكنه فى حياته الخاصه أو فى علاقاته العاطفية مع من يتصلون به من قريب أو بعيد ينسى هذا العقل نسياً تاما ويخضع خضوعا مطلقا لارادة القلب . فتراه مثلا ينكر السفور ويحبس امرأته ويغار عليها غيرة شديدة ويتهمها أشنع التهم . هذا فى مصر ولكنه ليس أحسن حالا فى أوربا وأمريكا.ففى امريكا يقتل البيض الزنوج ويحرقونهم أحياء . والرجل يقتل امرأته الخائنةويمثل بمنافسه فيها . وكثرة الجرائد لا هم لها إلا كشف أسرار البيوت وفضائحهم وهدم العائلات . وكثيرا ما رأى فى السينما هذه المفارقة الغريبة فى شكل حاد صارخ . فكثيراً ما نرى البطل يلطم خصمه ويصرعه على الأرض فى قسوة ووحشية . هنا تتبين فى وضوح البون الشاسع القائم بين العقل والقلب . العقل الذى تراه مجسما فى اختراع السينا وما يتصل بها من التفاصيل الاصطلاحية والفنية . والقلب الذى تراه بارزا فى هذه الاستجابة الفطرية التى استجابها بطل القصة فى هذا الموقف الخاص ونرى أيضا هذه المفارقة فى شكل يثير النفس الحساسة فى الراديوفون ، حين تسمع الروس يصفون الالمان بانهم « الالمان الكلاب » ونرى الالمان يكيلون للروس بنفس الكيل فيقولون « الروس الكلاب » فالراديوفون يمثل عبقرية الانسان فى أبدع مظاهرها . ولكننا نلمس فى الوقت نفسه أظلم ما فى النفس البشرية هنا نجد الشيطان نفسه يستعمل وسائل الله إذ أردنا بالله عبقرية الحياة الخالقة أو قوى البناء و التقدم و بالشيطان قوى التخريب والهدم

حينما ينشأ خلاف بين أمتين فهناك وسيلتان لفضه : الحرب والتفاهم.أما الحرب فهى أداة القلب أو وسيلة الحياة حينما كانت طفلة تلتمس طريقها فى جهد ومشقة واما التفاهم فهو اداة العقل . فالقلب لايعرف الا العنف والقتل . وانى اشبهه بقطار السكة الحديدية الذى

يسير فى اتجاه معين لا يعدل عنه .هذا القطار اذا صادف احد الناس مارا فى طريقه لا يملك قدرة الاختيار والتصرف ، فهو يسير قدما غير عابىء بالنفس التى قتلها . هكذا القلب يصرع من يعترض سبيله . فسلوكه سلوك آلى ، وهو السلوك الغريزى . ومما يؤلم النفس حقا ان نرى سلطان القلب يزداد الى حد الطغيان فى عصرنا هـذا . فهو لا يكتفى بآثامه وانما يذهب الى العقل يتعدى عليه ويسلبه ثماره فالمدافع والطيارات والغواصات والبوارج والغازات السامة ثمار العقل تحركها ارادة القلب . هـذه الآلية هى سر الكوميديا . فنحن حين نضحك من رجل فنحن نضحك منه لأنه استجاب استجابة آلية . فهو حين يتعثر فى طريقه مثلا ويقع على الارض ؛ نضحك منه لأنه لم يملك من الحرية والاختيار اللذين يتميز بهما الانسان ، مايساعده على امتلاك الموقف والسيطرة عليه . وفى العالم الآن من المهازل مايثير الضحك الشديد . ولكننا لا نضحك او نقهقه لان كثرة الناس تشترك فى تمثيل هذه المهزلة الكبرى

والآن نقف قليلا لنتأمل الآراء الاخرى . يرى « اوزكيث » ان غاية الحياة التقدم . وهو يشبهها بالعالم فى معمله يعمل التجارب المختلفة ليصل الى النتائج المنشودة . فالحياة ايضا تقيم التجارب فهى لا تخلق الناس متشابهين وذلك لتساعد على خلق خصائص جديدة . ثم هى تجهز النوع البشرى بغرائز القتال ليبقى الاصلح . وتبث فى الجماعات الانسانية روح الوطنية وكراهية الاجنبى حتى يستمر صاحب الصفات الممتازة ويحتفظ بمكانه تحت الشمس . فالصراع والقتال وحب التفوق وسائل الحياة لخلق سلالات ممتازة . فاختلاف الاجناس انما هو احتيال من الطبيعة لتفريق بينها وعزلها وتمييزها بعضها من البعض بصفات خلقية وامزجة خاصة . فغرائز الوطن والسيادة وحب الامتلاك ميول مقصودة ومدبرة من القوة الخالقة لايجاد التنافس بين الشعوب ، فيبقى الجدير بالبقاء ويذهب الخسيس . ويقول ايضا ، انه لكى نحافظ على قانون الحياة الاسمى يجب ان نحتفظ بقوميتنا ونعتز برجالنا وآثارنا ونفرض ثقافتنا على غيرنا . هـذه الغرائز هى التى تحركنا وتحبب الينا الحياة . فاذا استأصلناها فقدنا كل رغبة فيها

ونرى سبنجلر يقول : انه يجب ان نواجه الحقائق كما هى . . فالحرب هى ارادة الحياة . ان هناك اراضى عذراء يجب استغلالها لفائدة النوع البشرى ففيها تستخدم الشعوب كل ملكاتها العقلية .

وفكرة العدل ان هي الا فكرة حمقاء ، نجدها عند هؤلاء الناس الذين تجري في عروقهم دماء ضعيفة ان الحياة لاتعرف الا الغابة التي تجعل من قانون الأقوى قانونا عاما .

ويقول ونودريد في كتابه «استشهاد الانسان» : بالحرب ارتفعت الحياة تدريجيا من حيوانات تمشي على اربع الى انسان معتدل القامة . وبالحرب نشط الذكاء الانساني وتفتحت ملكاته . اخترعت الاسلحة والآلات الصناعية وتقدمت التجارة وازدادت الثروة . وبالحرب كبرت القبائل وصارت امبراطوريات عظيمة وبالحرب رسخت أقدام الحضارة

اما «اليوت سمث» فهو يقول : ان الحضارة هي التي افسدت النفس الانسانية . وانا لكي نعيد اليها طبيعتها يجب ان نعمل على ازالة ما افسدها وذلك بتنظيم الحضارة . فالانسان الأول كان خيرا بطبيعته . ويصف قبائل البونان التي تقطن في جزيرة بورنيو الآن ، بأنهم شعب بدائي سعيد ، محب للسلم امين ، رقيق الحاشية ، عطوف على نسائه ، حدوب على صغاره ، لايدري شيئا عن معاني العدالة والاستقامة والأمانة والصدق . ولكنهم يفعلون الخير بوحي السليقة والطبع . لايتكلفون ولا يتصنعون كالشمس لاتتكلف في ارسال اشعتها والازهار نفحتها ، والطير تغريده . لايعرفون الجشع والحسد لانهم لايعرفون الملكية . يعيشون في اخاء ومودة ومساواة . لا يترأسهم رئيس ولايتسلطون على نسائهم . واذا احتاجوا الى ابرام امر من الأمور التي تتعلق بسلامة القبيلة فأن كبار السن فيهم يقومون بهذا العمل بالمشاورة والتفاهم . لايعتدون على اجنبي ولا يغيرون على القرى المجاورة . ولكنهم يستحيلون الى اسود كاسرة اذا ما حاولت قبيلة اخرى التعدي عليها . وغاية الحياة عند «سمث» هي هذا العصر الذهبي حيث يعيش الناس فيه آمنين مطمئنين . ولكنه لايدعو الى الرجوع الى حالة الفطرة والطبيعة كما فعل فلاسفة القرن الثامن عشر . وهو لايكره الحضارة . وانما يقول باننا بالعقل المبصر يمكننا ان نستخدمها بحيث نحيل هذه الارض التي نعيش عليها الى جنة حقيقية ونصل بالحياة الى أقصى درجات التوسع والحرية والشمول .

ان هؤلاء الذين يزعمون ان الحرب قانون الحياة الأسمى وان مصير الحضارة الحديثة سوف يكون كمصير الامبراطورية الرومانية اذا هي فقدت الروح الحربية والعواطف الوطنية ، انهم حين يقولون هذا ينسون أن أحوال الحياة الاقتصادية والاجتماعية قد تغيرت تغيراً تاما . فالشخصية الآن لها قيمتها

عند صاحبها لأنه يريد أن يحيي حياة سعيدة على هذه الأرض التى نعيش عليها . ووسائل النقل وتحسن طرق المواصلات قد سهلت اتصـــال الامم بعضها ببعض . والاتصال الاقتصادي وتبادل المنافع والثروات اصبح أمراً ضروريا لتقدم كل أمة ونجاحها

الحرب ! هـذا الشيطان المارد العتيق الذى ولد مع الحياة ولا يزال محتفظا بقوته وجبروته !! أأدى مهمته او أن هناك دورا خطيراً عليه أن يمثله ! أى أراه ينشر ظله فى كل مكان ويحضر منجله لا ليحصد ارواحا عزيزة فحسب بل ليأتى على العمران كله ويفنى حضارة يزهى بها الفكر الانسانى ويعلق عليها امالا كبارا . ان امامنا يشهد الآن صراعا رهيبا بين قوتين هائلتين هماالحياة والموت . الحياة فى أروع مظاهرها فى هذه الحضارة العظيمة ، والموت الذى لا يستقر حتى يرى العمارات خرابا والنوع البشرى قد استحال الى عناصر اولية ، ذرات بسيطة لا تحس لفرح الحياة ولا يسكرها ضوء الشمس وحرارتها . ذلك لان العلوم والفنون الحربية قد بلغت حدا من الاتقان لم تبلغه من قبل . فالحرب الآن ليست الا شعبا يحارب شعبا وحضارة تحارب حضارة . وهما فى قتالهما يفنيان أحدهما الآخر . فهى تفنى القوى والضعيف وتبيد احر ما انتجه العقل الانسانى وتهلك الانسانية والشخصية معا

انه لمما يثير الاسف حقا ان نجد العلم يخرج عن وقاره وحياده فيستعمل وسائله للتخريب والتعذيب ومما يثير اليأس فى النفس ان نرى الانثروبولوجى يزعم أن بلاده من أرقى البلاد وأن شعبه منحدر من أنبل السلالات ونرى الاجتماعى يقول ان على بلاده رسالة يجب أن تؤديها للترفع بالنوع البشرى ورسالتها هى بسط سلطانها وثقافتها على من دونها من الامم . ونرى عالم الميكروبات يعمل بكل ما أوتى من قوة على توالدها وتكثيرها فى معمله لينشرها بين الاعداء لتفتك بهم فتكا ذريعا يقترف هذا الاثم بدلا من ان يعمل على محوها من الارض قاطبة

اننا فى حاجة الى اجيال طويلة حتى يمكننا ان نشاهد العقل وقد بسط سلطانه واخذ على ارادته على القلب . اما الآن فلن يتحقق لنا سلام على الارض مادام هناك رجل كموسولينى يذيع على قومه ديان الفاشية قبل كل شيء لا تؤمن بالسلم ولا تتوقعه ولا تجد فيه فائدة ما . لأن الحرب وحدها هى التى تصل بالقوى الانسانية الى اقصى ما يمكن ان تصل اليه وتطبع الشعب الذى يملك الشجاعة على

مواجهتها بطابع النبل . وكل نظرية تروج هذه الفكرة الضارة ، فكرة السلم ، عدوة للفاشية . »

او رجل كهتلر يقول : بالحروب الخالدة وصلت الانسانية الى اوج المجد ولو عاشت فى سلم ابدى لهلكت

والآن احب ان اسأل هذا السؤال واجيب عليه : ماموقفنا كمصريين ازاء الحرب الآن ؟ اننا من غير شك امام امر واقع ، هو ان الامم تتأهب للحرب . فاذا شئنا ان نحتفظ بمكاننا تحت الشمس ، واذا كان لنا إيمان وامل فى عبقريتنا الكامنة فى دمائنا التى ورثناها عن أجدادنا المصريين العظماء ، فانه لزام علينا ان نتهيأ لها تهيؤ الاسد لا تهيؤ الشاة

واعتدادنا بانفسنا لا يعنى احتقارنا لغيرنا وتهيؤنا للحرب لا يعنى العدوان من ناحيتنا . فنحن نسالم فى السلم ونرد عن انفسنا الاعتداء اذا وقع ؟



هل الديمقراطية أم الديكتاتورية أصلح نظـــــام للحكم

للأستاذ زكي الحكيم

كان الحكم المطلق مقدساً فى زعم رجال الدين الذين كانوا يستعينون به على حفظ مكانتهم . وقضاء مآربهم به وكان ـ أى الحكم المطلق ـ يستعين بهم على تقرير نفوذه وشمول سلطانه على الضمائر والأجسام . وكان لحق الحكم مصدر إلهى يتلقاه الحاكم المستبد من السماء ، فلا يسأل عنه ، ولا يكون للشعب إلا أن يطيعه كما يطيع خالقه ، ويؤمن بحكمه كما يؤمن بأسرار حكمة الله . فالحكومة رسالة سماوية معصومة من كل زلل ، والشك فى الحكومة ، كالشك فى العقيدة ، كلاهما كفر يعاقب عليه بالحرمان من رحمة الله ، والجهر بالعداء للحاكم مطيرة فعاقبة السجن . إن لم يكن حبل المشنقة...

كان هذا هو مصدر الحكومة المستبدة إلى ما قبل القرن الثامن عشر . وكان الايمان به عاما شائعاً لايشك فيه إلا أفراد معدودون من أحرار الفكر ، يخفون آراءهم كما يخفى المجرم جريمته ، وإلا نيم وصمة عاره .

كان هذا هو الشأن فى جميع الممالك ، اللهم الا انجلترا التى كافحت استبداد ملوكها فى القرن الخامس عشر ، حيث أنشأت «الحكومة المسئولة» أى الحكومة المسئولة من الشعب ، ممثلة فى مجلسين : مجلس النواب ، ومجلس اللوردات .

وبعد ذلك بدأت الشعوب تجاهد فى سبيل حريتها ، وتنهج نهج انجلترا ، حتى انتقل سلطان الحكم من الملوك المستبدين إلى مشيئة الشعوب ، وفى سبيل هذا الانتقال أريقت دماء ، واستشهد ألوف بل ملايين فى سبيل الحرية .

وفى أواخر القرن التاسع عشر عمت الديمقراطية جميع أنحاء العالم ، اللهم إلا ممالك قليلة جداً

احتفظت بأتوقراطية ملوكها وحكامها .

ظن الناس أن الحكومة الديمقراطية هي الحكومة المثالية الخالية من العيوب ، فلا ظلم ولا إجحاف ، ولا تمييز بين القوى والضعيف أو القريب والبعيد ، فلم تنقض على الديمقراطية سنوات حتى خيبت آمال الحالمين فيها ، وخيبت آمال أولئك المظلومين الذين صوروا زمانها المترقب في صورة الفردوس الأرضي ، أو العصر الذهبي الذي تغنى به الشعراء ، وتحدثت به الأساطير ، ومتى كان كل هذا منتظراً من الديمقراطية فلا جرم يخيب فيها الظن ، ويحكم عليه الحاكمون بالفشل بعد أول صدمة مع وقائع الحياة ، وعثرات التجربة الأولى ، وهي لا تخلو من النقائص ، ولا تسلم من الاضطراب فلم يكن أقسى على الديمقراطية ولا أظلم لها من غلاة المؤمنين بها ، الذين دأبوا يكلفونها ما لا يكلفه نظام في هذه الدنيا مهما كانت قواعده من الصحة ، ونيات القائمين به من الصلاح .

هذه كلها أسباب يصح أن تسمى بالأسباب المصطنعة للشك في حقيقة النظام الديمقراطي والأخذ فيه بالعرض دون الجوهر المقصود . ولو ذهبوا ، لعلموا أن عيوب الحكومة الشعبية مكشوفة دائمة لاستفاضة علاقاتها ، واشتراك الملايين والألوف في دعواتها وأعمالها . فليس لها حجاب من الفخامة والروعة كذلك الحجاب الذي يسترون به عيوب الحكومات المستبدة .

للديموقراطية عيوبها . ولكنها عيوب الطبيعة الإنسانية التي لا مناص منها . ولا يمكن أن تقارن الديموقراطية بحكومة المثل الأعلى المنشودة في الخيال إذ هذه الحكومة لا موضع لها في عالمنا ولن يكون لها موضع . ولكنها تقارن بالأنظمة الأخرى في جملتها وينظر في عيوبها بصدق وإخلاص وتقدير لجميع الظروف . فلعل هذه العيوب بعض لوازم الحسنات التي لا يستغنى عنها أو لعلها طارئة يزيلها المزيد من الديموقراطية ، فهي بلا ريب قد أوجدت للعصبيات الحزبية مخرجا صانت الشعوب عن الفتن الدموية . وأقنعتها بأن عليها تبعة في الحكم ، وأنها قادرة على تبديل الحكام ، فضعفت فيها نزعة الثورة بقدر ثقتها من الاشتراك في الحكومة ، والقدرة على تبديلها ، وهي في مدى خمسين سنة قد صاحبت في عالم الصناعة والعلم تقدما لم تبلغه الإنسانية في خمسة آلاف سنة . وكلما ازدادها التقدم صعب على الناس أن يؤمنوا بتلك الخرافة التي كانت تهيئ لفرد واحد أن يملك أمة له ولأبنائه

من بعده ملك السيد العبيد .

* * *

كان من نتائج الحرب العظمى أن أنهكت قوى الدول الأوربية ، واختلت ميزانيتها ، وتفشت فيها الأفكار والنزعات الاشتراكية المتطرفة ، وتهددت في البعض منها النظم الديموقراطية التي ظلت ثابتة محترمة حتى عام ١٩١٤

والواقع أن الاضطراب الذي حدث بعد الحرب مهد السبيل للديكتاتوريات ، فرأينا ديكتاتورية بريمودى ريفيرا في أسبانيا وبلسودسكى في بولندا ، وموسولينى في أيطاليا ، وهتلر في ألمانيا ، وستالين في روسيا ، ومصطفى كمال في تركيا ، ولو أن لنا رأيا خاصا في مصطفى كمال وهى أن ديكتاتوريته اتخذها في أول الامر لاستقلال أمته من النفوذ الاجنبى . وإصلاح أمور الدولة واستتباب الأمن ، وبعد استقرار الامر نراه يسير بالحكم سيرا أشبه بالديموقراطية منه بالديكتاتورية ولو أننا لا يمكننا أن نصف حكمه بالحكم الديمقراطى المطلق .

والملاحظ أن الامم الكبيرة ذات التقاليد الديموقراطية الثابتة مثل انجلترا وفرنسا استطاعت الاحتفاظ بكيانها ، وبذلت قصارى الجهد لمعالجة مشاكلها بنفسها طبقا للتقاليد الديموقراطية ولم تلجأ لرجل واحد تحصر السلطة في يده وتمكنه من فرض ارادته على باقى أفراد الشعب ، فهزأت انجلترا بالسير موزلى وبآرائه الفاشستية التي ترمى الى تأسيس حكومة على الطراز الايطالى يتولى شؤونها ديكتاتور لعله هو السير موزلى نفسه .. وكذلك هزأت فرنسا بكتابات الصحفى جورج فالوا الذي يدعو الى وجوب اقامة حكم ديكتاتورى في فرنسا وقد قرأنا أخيراً في الصحف أنه قد حكم عليه في قضية قذف حكما صارما والمظنون أنه بعد هذا الحكم لا تقوم له قائمة .

وليس ثمة من شك في أن الامم المتأخرة بعض الشيء في ميادين الحضارة ، و الامم الحديثة الناشئة ، هي التي سمحت لرجل واحد أن يتحكم فيها ، ورضيت بوجود حزب واحد يتحكم في مصيرها

وعلى كل نرى أن الديكتاتورية عرض طارىء ولدته الحرب ، ومصيرها الزوال حتما

بزوال الديكتاتور أو بضعفه ، أو بقوة الرأى العام

* * *

وعندما نريد أن نستعرض مساوئ الديكتاتورية ، لا بد لنا أن نعرض أمام أعيننا أعمال القائمين بها ، أى أعمال الديكتاتوريين ، وكيف وطدوا حكمهم

وعلى رأس هؤلاء الدكتاتوريين الدوتشى — أو موسولينى — فإن حكمه حافل ، لا بجلائل الأعمال ، بل بالعسف والبطش وخنق الحريات .

انتهز موسولينى فرصة القلاقل التى سادت إيطاليا عقب الحرب ، شأنها شأن بعض الدول الأخرى التى خرجت من الحرب منهوكة القوى ، مفككة الأوصال ، وهو الرجل الطموح ، صلب الإرادة ، جم النشاط ، شديد النهم للسلطة ، انتهز هذه الفرصة وأخذ يجمع حوله الساخطين المتبرمين ويكيل لهم الوعود ، حتى إذا ما كون له أنصاراً يعتد بهم ، أخذ يناوىء الحكومة ويطالب بالحكم رغم أنه سقط فى الانتخاب وسقط كل أنصاره الذين رشحوا أنفسهم ، ولكنه أبى أن يرضخ لإرادة الشعب الكاره فى تمثيله ، المحتقر لشأنه وشأن أنصاره ، وبينما يحارب الحكومة بالشغب وإثارة القلاقل حتى اضطر الملك أخيراً حسماً للنزاع ، وخوفاً من حرب داخلية ، أن يعلن الأحكام العرفية ، ويسمح لموسولينى أن يتولى السلطة

أبى موسولينى أن يتولى الحكم كما يتولى أى رئيس للوزارة ، بل جمع أنصاره ، ودخل روما فى مظاهرة من هؤلاء الأنصار ، وسمى ذلك «زحفاً على روما» والمدهش فى ذلك الزحف أنه لم ترق فيه نقطة دم واحدة ، ولم يعترضه أى معترض .

عقب توليه السلطة وقف يخطب فى أنصاره فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢٢ عقب ما سماه الزحف على روما فيأمرهم بالمحافظة على النظام واحترام الغير وعدم المساس بالحرية الشخصية ، وكان يكرر لهم هذه الوصية دائماً فى الأيام الأولى من حكمه . على أنه لم يمض على ذلك أسابيع معدودة حتى غير نغمته لأنه وهو المستبد بطبعه ، الكاره لأى اعتراض ، المتبرم بأى نقد ، وقف فى البرلمان الإيطالى وخاطب النواب قائلا «إنى لأستطيع أن أجعل هذا الحرم مباحاً لرجالى ، وفى وسعى أن أقيم حكومة فاشستية محضة .. »

وفى أقل من سنة قلب نظام الانتخاب بعد أن أدرك أن اجراء انتخاب حر لا تكون نتيجته المحتومة الا ابعاده عن السلطة وتمت الانتخابات الجديدة فى أبريل سنة ١٩٢٤، وانتهى بها عهد الحرية البرلمانية فى ايطاليا

وقد تكون الظاهرة البارزة للعهد البرلمانى الجديد هى مصرع النائب ما تيوتى ؛ حيث فى ٣٠مايو سنة ١٩٢٤ ألقى هذا النائب الجرىء خطابا شديد اللهجة ضد موسولينى وحكومته ثم التفت فى نهايته الى العصبة القليلة من زملائه المعارضين وقال لهم باسما «والآن يا أصدقائى فى وسعكم أن تعدوا معدات جنازتى ..» ولم يمض على ذلك عشرة ايام حتى خرماتيوتى صريعا برصاص الفاشست ؛ وكانت محاكمة قاتليه فضيحة مخزية ؛ لم يقتصر الأمر فيها على حماية المحرضين ؛ بل ان الفاعلين الاصليين أنفسهم أطلق سراحهم بعد الحكم عليهم بأقل من شهرين

واعتدى بعد ذلك على النائب امندولا بالضرب المبرح الذى انتهى بموته بعد آلام قاسية ؛ وتلا ذلك مصرع النائب بيلاتى الذى خرج من الحرب العظمى مشوهاً ؛ فقد أبقى النمسويون على حياته ليهرق دمه بعد ذلك بأيدى مواطنيه من الفاشست

لم يكتف موسولينى وأنصاره بضرب كل من يعارضهم ؛ بل وبقتله أيضاً إذا لزم الحال فى رايهم كما رأينا من قتل نواب الأمة وممثليهم ؛ استصدر فى يوليو سنة ١٩٢٤ قانوناً يجيز فيه للحكام الاداريين أن يصادروا كل جريدة تنشر أخباراً كاذبة أو مثيرة للخواطر .. وما أوسع كلمة أخبار كاذبة أومثيرة للخواطر .. فكل نقد له ؛ أو ذكر تفاصيل الأعمال الاجرامية التى يقوم بها رجال الفاشست؛ تعتبر كاذبة مثيرة للخواطر ، وتكون العقوبة المصادرة والغلق ؛ حتى كمت أفواه الصحافة ؛ ولم يبق بلد لاصحافة حرة فيه

وفى نوفمبر سنة ١٩٢٦ أنشأ المحكمة المخصوصة وإجراءاتها أشبه ماتكون بالأحكام العرفية ، وتخير قضاتها جميعاً من رجاله ؛ وجعل اختصاصها النظر فى الجرائم السياسية .. وبذلك انقضى عهد الحرية الشخصية كما انقضى عهد حرية الصحافة من قبل .

وعلى مثل هذه القواعد ؛ ومثل هذه القوانين ؛ قام النظام الفاشستى ؛ واستطاع موسولينى أن يوطد مركزه ؛ ويحشد من حوله جيشاً هائلا من الأنصار والأتباع ؛ أكثرهم راغب فى خيره ؛

أو خائف من شره ..

والواقع أن الحزب الفاشستي هو موسوليني ، وموسوليني هو الحزب الفاشستي ، ولا يدين الحزب بشيء غير الاخلاص لزعيمه ، والفناء في شخصه . بل لقد غير الحزب مبدأه أكثر من مرة طبقاً لرغبة الزعيم ونزولا على إرادته . ولقد صرح واحد من رجاله يوماً بأنهم زحفوا على روما وليس منهم من يدرك معنى الفاشستية ، وأنهم حتى الآن لايدركون لها معنى . وصرح آخر بأن الفاشستية لاتنطوى على غير الأيمان بالزعيم وقدرته . فالحزب وأنصاره ونظامه لاتربطهم جميعاً غير رابطة واحدة وهي الاخلاص والولاء لشخص موسوليني ، وموسوليني نفسه لايطلب من رجاله أكثر من أن يتنازلوا له عن شخصيتهم ؛ فليس لهم أن يتحدثوا ويفكروا إلا بارادته ، وكل انتقاد لسياسته جزاؤه السجن أو النفي أو حتى الموت أحياناً كما سلف القول ... ! !

ولكي يصبغ الشعب بالصبغة الفاشستية ابتدع أنظمة ما أنزل الله بها من سلطان . فالطفل الإيطالي عندما يبلغ السادسة من عمره ينتظم في سلك ما يسمونه «البالليلا» ويصبح فيها جندياً صغيراً يرتدى الملابس الرسمية الخاصة ، يتجلجل بالسلاح في يده ، ويسير على صوت الطبول ، ونحن نعلم ماهو مدى شغف الأطفال بملابس الجند والطبل والمشيات العسكرية .. فكل طفل تتحقق آماله الصبيانية بهذه الملابس وهذا النظام ؛ وهكذا يصبح أطفال إيطاليا من أقصاها إلى أقصاها ـ بارادة والديهم أو رغم إرادتهم ـ جنوداً في جيش «البالليلا» حتى أصبح عددهم يربى على الثلاثة ملايين ، وهذا العدد يزداد دون انقطاع

وعندما يبلغ الطفل الرابعة عشر يصبح جندياً من جنود طليعة الحرس .. ويقسم يميناً هذه صيغتها «اقسم بالله بأنى أطيع موسوليني دون جدال أو مناقشة وأن أضع كل قواى في خدمة الثورة الفاشستية وأن لا أضن عليها بدمى» وياله من قسم ! .

وعندما يبلغ الثامنة عشر من عمره ينتقل من هيئة طليعة الحرس الى صفوف شبان الفاشستيين

وكذلك يمر شباب الفتيات بأدوار مشابهة للأدوار التي يمر بها شباب الذكور السالف تبيانه

وهن يلقن بنوع خاص فضائل النظام الفاشستى ، ويطبع فى قلوبهن أن خير وسيلة لخدمة وطنهن هى أن يكثرن من انتاج الأولاد ، وطبعاً الاولاد الفاشستيين

أما العمال وكيف يصبحون فاشستيين فأمرهم أغرب من هذا ـ فانه عندما يظهر عشرة فى المائة من عمال أية مؤسسة اقتصادية رغبتهم فى أن يكونوا لانفسهم نقابة ـ فاشستية طبعاً ـ تصبح هذه النقابة ذات وجود قانونى ، ومن هذه اللحظة يكون لها حق تمثيل جميع العمال حتى غير المنضمين الى عضويتها ، وهنا نجد مبدأ الفاشستية هو مبدأ سيادة الاقلية ، وهو كبير الشبه بما يشاهد فى روسيا الشيوعية متجليا فى أجلى مظاهره . وهكذا تكون أى نقابة لأصحاب الأعمال من أى حرفة من الحرف ، وهكذا لا تجد أى نقابة فى ايطاليا إلا وهى فاشستية ، رضى العمال أم لم يرضوا . وبذلك أصبحت ايطاليا ، رجالا ونساء أطفالا وكباراً ، وعمالا وموظفين ، أصبح الجميع يدينون بالفاشستية ـ استغفر الله ـ بل يدينون بالههم موسولينى إن لم يكن سراً فجهراً على الاقل ، وإلا ففى النفى والسجن والتشريد متسع للجميع .

وعلى هذا النظام محيت الفردية الاقتصادية من ايطاليا ، بل محيت كل حرية فردية فى العمل والقول والكتابة ، فاما أن يكون الفرد آلة صماء ، واما أن لا يكون . .

وقد قال موسولينى فى مقال له بمناسبة انقضاء عشر سنوات للزحف على روما « وإن كانت هناك معجزة فهى تشكيل الشعب الايطالى وجمع صفوفه فى كتلة واحدة لها روح واحدة » وليس أصرح من هذه الأقوال فى أن موسولينى قضى بارادته على نظام الأحزاب فى ايطاليا ، أى قضى على نظام الديمقراطية فى الحكم ، كما قضى على الحرية الشخصية وجميع الحريات من غير استثناء ، وفرض نفسه على الشعب ديكتاتوراً مستبداً متصرفاً من غير شورى أو مسئولية ، فهو لا يعرف من أساليب الحكم إلا ما كان قائما على البطش والقوة ، مبررا هذا بقوله لاميل لدفيج « قد يكون الديكتاتور محبوبا من الشعب ، قريباً من قلوب أفراده ، لأن الجمهور كالمرأة تعشق القوة . . »

ويضيق بنا المقام ، كما يطول الوقت ، إذا سردنا هنا كل مافعله هذا الديكتاتور المستبد ليوطد سلطته ويفرض نفسه فرضاً على الشعب ، وهو الذى احتل الحكم بأقلية زهيدة فى البرلمان ، ولولا تعديل قانون الانتخاب ، والأفاعيل والألاعيب التى اتخذها لما كان هناك موسولينى

ولما عانى العالم ماعانى وسيعانى من أزمات وقلاقل نفسية وحروب استعمارية ، وهاهو أخيراً قد انسحب من عصبة الأمم ، الهيئة العالمية التى تعمل للسلام العالمى ؛ لأنها لا توافق أغراضه الاستعمارية ، وما يبيته للعالم من حروب وقلاقل وقانا الله شره . .

والآن ننتقل إلى الديكتاتور الثانى وهو هتلر — زعيم ألمانيا — وهو صورة طبق الأصل من موسولينى وشبيهه والمستوحى بوحيه ، والسائر على منواله فى اتخاذ زى أنصاره ، مع اختلاف فى لون القميص فقط ، وفى الأساليب التعسفية ، والبطش بخصومه ، حتى أنه أخذ يسير فى سياسته الخارجية على المنوال الذى يسير عليه موسولينى ، وأخيراً نجح فى تكوين محور — روما برلين — الذى معناه التضامن بين الدولتين فى خطتها السياسية الخارجية .

غير أن موسولينى هو العلم الفرد فى إيطاليا ، أما هتلر فى ألمانيا فيعاونه ثلاثة أشخاص هم ديكتاتوريون فى مناح مختلفة — فشاخت الاقتصادى ، وقد استقال أخيراً من وزارة الاقتصاد ، ولكن لما كان لا يمكن الاستغناء عنه فى التنظيم الاقتصادى ، عينه هتلر وزيراً من غير وزارة ، مع احتفاظه بإدارة بنك الريخ — أى بنك الدولة الرسمى .

والثانى الدكتور الأعرج — وكل ذى عاهة جبار حقاً — وهو الهرجو بلز — وزير الدعاية ، وهو رجل ضئيل الجسم ، نحيف البدن ، ولكنه أكثر زعماء النازية ثقافة وعلماً . وهو المسيطر على الصحافة فى ألمانيا ، فلا يمكن أن يكتب شىء فى أى صحيفة لا يوافق عليها جوبلز هذا . ولم يقتصر على الصحافة فحسب بل على السينما والراديو والمسرح والموسيقى وبقية الفنون والمسائل العقلية — علمية وأدبية — حتى لقد حول ألمانيا إلى «سجن ذهنى» أى أنه حرم على ابناء ألمانيا أن يفكروا فى غير الأمور التى يراها جوبلز مناسبة ، حتى أصبحت الصحافة على اختلاف أنواعها تكتب بروح واحدة وتكرر شيئاً واحداً ، حتى سئمها القراء وانحط مستواها الأدبى .

وقد قال جوبلز فى إحدى خطبه «إن للدعاية هدفاً واحداً ، ذلك أن تغزو الجماعات ، وكل وسيلة تحقق هذه الغاية جائزة ومشروعة ، وكل حائل يبعد الانسان عن هذا الهدف باطل وكريه» ويؤثر عنه قوله «لست قادراً على أن تفرض رأيك على الناس إلا عن طريق الاخافة والوحشية ، فاحصل على القوة وارتق الى الحكم ، ثم اشعر نفسك الحق فى أن تنسف الدولة نسفاً مادامت لا تقوم على أساس يرضيك»

ومثل هذه الكلمة تصلح تفسيرا واضحاً لما ينسب للدولة النازية من فظائع الارهاب التي كثرت وضاق الناس بها ذرعاً ، حتى قيل عن يهودى يعيش فى ألمانيا كتب إلى صديق له يعيش فى خارجها يقول له « إن ما ينسب إلى النازى من اضطهاد لايقوم على أساس من الصدق ، وحسبك أن تعرف أن عمى الذى كان يقول كلاماً يخالف هذا اختفى منذ اسبوع ولم يعثر له على أثر ..! »

ولكى تتبينوا الارهاب والظلم الذى يحيق بالألمانى الذى لايدين بزعامة هتلر وأعوانه ، أقرأ هنا البرقية الخارجية التى نشرت من يومين فى الصحف بعنوان محاكمة اثنى عشر شخصاً فى المانيا « برلين فى ١١ ديسمبرسنة ٣٧ . حوكم اثنى عشر شخصاً بتهمة الخيانة العظمى . والتآمر على قلب الدستور وذلك بمحاولة تقوية عقيدتهم الشيوعيه بالاصغاء إلى محطة راديوموسكو الشيوعية فحكم على ثلاثة منهم بالأشغال الشاقة سنتين ونصفاً . وعلى أربعة بالاشغال الشاقة ثمانية عشر شهرا وعلى واحد بالحبس اثنى عشر شهرا ، واطلق سراح أربعة . . . »

فكأن الانسان فى المانيا ــ تحت الحكم الديكتاتورى ــ غير حر فى أن يسمع الراديو كما يشاء بل كما يشاء له الديكتاتور ، فهل هناك العن من حكم كهذا !؟

اما المعين الثالث للزعيم هتلر فهو الجنرال جورنج ، وهو مصدر العنف المادى فى الحركة النازية ، كما أن جوبلز هو مصدر العنف الفكرى فيها . وجورنج يسمى « المفزع » وهو حقا مفزع ، فهو الذى قضى على المعارضة فى المانيا قضاء مبرما

وقد قال هتلر عند محاكمته فى سنة ١٩٢٤ أن رأس الجمهورية سوف يتدحرج فى الشارع اذا ما تولى الحكم ، وقد تحققت نبوءته ولكن ليست على يديه بل بيدى جورنج هذا

قد تولى جورنج منصب مدير البوليس فى حكومة الريخ الثالث ، فحدث فى عهد ادارته أن فر من المانيا ٩٠ الف يهودى ؛ وفى المدة ما بين سنة ٩٣٣ وسنة ٩٣٥ قطع رأس ٢١٢ رجلا بالبلطة والاشخاص الذين قدموا للمحاكمه بلغ عددهم ٣٠٨ ر٢٨ وبلغ مجموع المدد المحكومه بها عليهم ٤٢١ ر١٣٩ سنة ، ويضاف الى ذلك ١٨٤ اعدموا رميا بالرصاص وهم يحاولون الفرار . ثم ١٣ الف حرموا من الجنسية الالمانية و٤٩ الف أودعوا معسكرات المراقبه . .

ومن أطرف ما أختم به قولى عن هذا الطاغية أنه فى ساعة زواجه أمر أن يقطع رأسا الرجلين

الشيوعيين اللذين قتلا أحد ذوى القمصان البنية ساعة الاكليل حتى يستكمل عرسه بهاء وفخامة..

وقد اتخذت المانيا شعارا لها فى عهد هتلر هذه الآية وهى «السلامة ولو مع الفاقة» وهى لذلك تنزع الزبدة من شرائح الخبز التى يأكلها أولادها فى سبيل إعداد جيش هائل فى البحر والجو كما قال ذلك المستر لويد جورج فى احدى مقالاته عن المانيا بعد زيارته لها منذ عام تقريبا

« • »

أما الديكتاتورية الثالثة ، أو ثالثة الاثافى ..... فهى ديكتاتورية روسيا التى يحكمها ستالين بيد من حديد . وهذا الطاغية يغنينى عن ذكر طغيانه بالتفصيل ، فيكفى أن تقلب احدى الصحف فى أى يوم من الايام ، فى أخبارها الخارجية ، حتى تقع عينك على عنوان « الاعدام فى روسيا » ففى كل يوم يعدم عشرات من الروس ، ومن الروس الممتازين بحجة عدائهم للنظام الشيوعى ، وفى الواقع أغلب هؤلاء أعدموا اما لانهم غير راضين عن حكم طاغيتهم ستالين أو شعوره هو بأن البعض منهم يدبرون ضده المؤمرات للفتك به . حتى أصبح الروسى لا يأمن على حياته وكل يوم ينقضى وهو حى يعتبر نفسه قد ولد فيه من جديد . فالحياة فى روسيا حياة فزع ورعب حياة جوع ومسغبة ، حياة ظلم وطغيان حتى اصبح الشعب يترحم على زمن القياصرة والامراء فاقل عزاء لهم أنهم كانوا يحكمون بالملوك والامراء اما الآن فالذى يسيطر عليهم هم الصعاليك و الحثالة

هذه هى الديكتاتورية . وهذه هى أعمال الديكتاتوريين ، وأظن أنه لا يمكن لشخص فيه مسكة من العقل أن يفضل لبلده أن تحكم حكما ديكتاتوريا . يتولاها فرد يسومها العسف والجور إن لم تأتمر بامره ، وتخضع لحكمه .

أن كان للديكتاتورية حسنة واحده فلها عشرات المساوىء ، فان أغضينا الطرف عن بعض الاصلاحات الداخلية التى تبرر بها وجودها ، وتذر بها الرماد فى عينى خصومها ، لا نجدها غير حزب يؤيد الديكتاتور ، ويناصره فى كل ما يفعل وكل ما يقول فى سبيل الاستئثار بالمناصب الكبيرة ، والمنافع العديدة التى يحصلون عليها من مرافق الدولة المختلفة

فمن مساوىء الديكتاتورية أنها تحمل معها الوشايات ، و الدسائس ، والمحسوبية ، والخوف والحذر والملق والرياء . فكل من تزلف الى أعضاء حزب الديكتاتور أمن على نفسه شر الاضطهاد

وكل من عرف كيف يتقرب اليهم استطاع أن يضمن لنفسه بعض المنافع التى يطمح اليها . وكل من أحس برغبة شديدة فى معارضتهم وكان جبانا يخشى سوء العاقبة ، يضطر فى النهاية الى السكوت وتحمل الامر الواقع . والكف عن ابداء آرائه وانتقاداته . فبدل أن تكون الحرية الشخصية هى مقياس الرجل المتحضر . تصبح الطاعة العمياء دليل الاخلاص والجد والعمل والرق . وهكذا يطبع الشعب بطابع واحد . وتتجه ميوله نحو غاية واحدة . وتنصب حركاته وأفكاره فى المجرى الذى يريده له الديكتاتور وحزبه ..

فعبادة الديكتاتور فرض على الشعب . وتقديس أفكاره وتعاليمه فرض على الشعب . والايمان بسياسته فرض على الشعب . ووضعه فى مصاف الآلهة فرض على الشعب . وكل من يخالف هذا ، أو يجرؤ على المصارحة بنقيضه ، أو يتبرم به يصبح موضع الريبة والاضطهاد .

وهكذا يقضى على الحرية الشخصية ، حرية الفرد ، وحرية الفكر ، وحرية القلم ، تلك الحريات التى من أجلها جاهدت شعوب عدة أجيال .

فهذه الفكرة التى تستند إليها الديمقراطية . والتى تعتبر أكبر نصر أحرزه النوع البشرى فى تاريخ تطوره . وأعظم حافز للفرد على الرقى والتحضر والشعور بقيمة الشخصية الانسانية . لا تحترم فى العهد الديكتاتورى . ولا يحفل أنصاره بها . بل يعمدون الى تحطيمها وهدمها . ويقولون ان الدولة هى كل شىء . وأن عقلية الديكتاتور وحاشيته أبعد نظرا وأصلح لادارة شئون الأمـة من عقليات الأفراد مجتمعة فى برلمان تتوافر فيه العناصر الديمقراطيـة الصميمة

فكأن الديكتاتورية تعمل للقضاء على شخصية الفرد لتحقيق آراء ومبادىء واصلاحات . تخيل للقائمين بهذه الديكتاتورية ولزعيمهم أنها المثل الأعلى . وأن لا مفر من تنفيذها بالقوة والعسف والاضطهاد اذا لزم الحال .

ومن أضرار الديكتاتورية أنها تلقى فى روع الفرد أنه لاشىء . وأن الدولة هى كل شىء . ومعنى ذلك أن الفرد يشعر بدافع شديد يدفعه الى الاتكال على الحكومة وعلى عبقرية الديكتاتور . فتختفى فيه مواهب التفكير الحر . وملكات الاعتماد على النفس فى تصريف الامور . فكل عهد من عهود الديكتاتورية هو زمن ترجع فيـه الانسانيـة القهقرى ، ويرسب فيـه العقل البشرى ، وتتعطل

المواهب الخالقة ، وتنتشر الدسائس ، وتفسد الأخلاق .

فالديكتاتورية هى عرض زائل سرعان ما تنهدم ، ويتقوض بناؤها ؛ لأنها قائمة على الضغط وكل ضغط له عاقبة ، هى الانفجار . وأقرب مثل على ذلك هو تقويض ديكتاتورية بريمو دى رفيرا فى أسبانيا التى اكتسحت العرش أمامها ، ولا تزال إلى الآن تعانى نتيجة هذا الانفجار .

على أننى لا أحب أن أغفل اعتراضا ، قد يلوح عليه بعض الوجاهة ، يصوب إلى الديمقراطية ذلك أن الديمقراطية يعتورها البطء فى التنفيذ ، لأن أهم ميزاتها أن الهيئة الحاكمة لاتبرم أمراً ، ولاتتخذ سياسة ، إلا بعد الرجوع إلى ممثلى الأمة ، وتصديق هؤلاء على الخطة التى يرون فى اتخاذها صالح الدولة ، بعد المناقشة . والاعتراض والتأييد ، والأخذ والجذب بين مختلف الاحزاب ، وهناك من الامور ما يستدعى السرعة والبت الحاسم ، وإلا كان فى التأخير ضرر جسيم ، بل ربما نكبة وطنية لاقبل للأمة على احتمالها .

هذا الاعتراض ، قد يلوح عليه بعض الرجحان ، يتطلع به أنصار الحكم المطلق ، ويتخذون منه سنداً إلى استبداد فرد بحكم شعب ، وهدر حريته .

ولكن الرد على ذلك هين سهل ، لا نعرضه فى معرض النظريات ، بل هو أمر واقعى كان يحدث فى الديمقراطيات القديمة . كما حدث فى الديمقراطيات الحديثه .

فى روما القديمة — ولاحظ روما القديمة التى يطنطن بمجدها الحاكم لروما الحديثة الدوتشى موسولينى — كان مجلس الشيوخ فى أوقات الخطر على الوطن .. — مع ملاحظة الخطر على الوطن — ينتدب من زعماء الأمة فرداً حازماً يثقون فيه ، يساعده قائد حربى ، ويطلق يده فى الشئون العامة زمناً قد لايتعدى الستة الاشهر فى الغالب ، وكثيرا ما كان الحاكم المطلق ، أو الديكتاتور ، يعتزل وظيفته باختياره إذا أنجز ما انتدب له قبل الموعد المحدود ، وكان مجلس الشيوخ على كل حال يحتفظ بحقوقه التامة فى أثناء ذلك ، ويشرف يوما بيوم على أعمال الديكتاتور وأعوانه الحربيين .

هذا فى الزمن القديم . أما فى الزمن الحديث فكثيرا ما يعطى البرلمان سلطة غير مقيدة للوزارة حتى تدرأ عن البلاد خطرا داهما أو محتمل الوقوع . وهذا ما يحدث فى العادة فى أوقات الحروب ، وقد يحدث بعض الأحيان فى أوقات السلم ، كما حدث فى فرنسا وقت تدهور الفرنك ، حيث منح

البرلمان سلطة لا حد لها للمرحوم المسيو بوانكاريه ، ليمنع الخراب المالى عن البلاد ، باصدار مايشاء من القوانين والأوامر حتى إذا ماصينت الحياة المالية ، عادت الأمور إلى مجاريها ، وتخلى المسيو بوانكاريه عن الحكم .

على أننى أيضاً ، فى معرض التدليل على عدم الخطورة من بطء الطرق الديمقراطيـة فى تنفيـذ المشاريع ، والقضاء على الفوضى العارضة ، يحسن بى أن أنقل للقراء فقرة من خطبة ألقاها الرئيس روزفلت فى ١٣ كتوبر سنة ١٩٣٧ حيث قال : «إنى أسلم بأن الطرق الديمقراطيـة أبطأ من الطرق الديكتاتورية ، ولكنى لا أعتقد أن الطرق الديمقراطية بطيئة إلى درجة خطرة ..»

وقد يقولون أيضاً أن النظام الديكتاتورى هو أصلح نظام للأمم الجاهلة ، أى التى يغلب على مجموع أفرادها الجهل وعدم الدراية بالحياة العامة ، والأساليب السياسية .

والرد على ذلك هين سهل أيضاً ، فان الأمة الانجليزية وهى أعرق الأمم الديمقراطية ، ونسبة المتعلمين فيها تفوق نسبة أى أمة أخرى ، فان غالبية الشعب ليس له أى دراية بالحياة العـامة خارجا عن المحيط الذى يعيش فيه أفراده ، ولا يعلم من الحياة العامة غير انتخاب ممثله فى البرلمان ، وحتى ممثلى الشعب فى البرلمان لايشتركون اشتراكا فعلياً فى إدارة دفة الأمور ، وتوجيه سياسة الدولة ، لان الذين يقومون بذلك هم زعماء الاحزاب ، وهم أفراد قلائل ، أما باقى النواب فهم مؤيدون لحسب زعماء الاحزاب الذين ينتمون إليهم .

على اننا لا نغفل أمراً واقعياً ، وهو أن عامة أفراد الشعب ، فى كل أمة من الامم ، رغم جهلهم لهم حاسة طبيعية ، بها يزنون الصالح من الامور ، ويميزون الحزب الذى له برنامج إصلاحى لا خيال فيه ولا تهويش ، ولذلك يحسنون اختيار نوابهم الذين يتوسمون فيهم النفع والاصلاح .

فالديمقراطية أصلح نظام يمكن أن تعالج بها مشـاكل العالم الحاضرة ، من اجتماعية وخلقية واقتصادية . لان الديمقراطية تمـكن أفراد الشعب جميعـاً من الاشتراك فى الحكم ، ولا تسمح لفرد واحد بأن يسيطر بمفرده على شئون دولته .

وغرض الديمقراطية الاكبر أن تحل فى الجمهور حكم العقل ، محل حكم العواطف والاهـواء ، وان يشعر كل فرد بمسئولية حيـال مختلف شئون الامة . وهكذا يشعر الانسان بقيمته البشرية ،

ويحس بما له من حقوق ، وعليه من واجبات ، لان هذا الاحساس هو الفرق بين الانسان والحيوان أما ان يكون الانسان مسير بفرد ، ورغبات فرد ، واهواء فرد ، فهو والحيوان سواء .

ليست العبرة فى أن ننشر الحرية فى معاملتنا بعضنا البعض ، ولكن العبرة فى أن يتيح لنا نظام الحكم التمتع بأقصى الحرية السياسية فى سبيل خدمة مجموع الأمة ، والتوجه به نحو تحقيق النظام

ورحم الله فولتير إذ قال «إن غايتى فى الحياة أن أكون حراً ، لا بالنسبة الى نفسى فحسب ، ولا بالنسبة إلى كل من أعرف ، ولكن بالنسبة إلى الحكومة التى تعمل على تكوينى وتكوين أبناء وطنى ، وإعدادنا جميعاً للحياة . ومادامت الحكومة هى التى تعنى بالتصرف فى شئون الحياة العامة فمن حقى أن أشرف عليها وأراقبها . اذ فى هذا الامر مصلحتى ومصلحة مواطنى جميعا .»

وفى الحق أن فولتير يعبر لا عن شعوره فحسب ، بل عن شعور كل رجل يشعر بقيمته فى الحياة وما أحب الا أنكم جميعا تشعرون بهذا الشعور . ولذلك لاتؤيدون الديكتاتورية بأى حال من الاحوال ..!!



البهائية والعالمية

بقلم الأستاذ نقولا يوسف

البهائية هي الدين الاجتماعي الجديد الذي بدأ ظهوره بإيران منذ قرن داعيا إلى الأخاء والتفاهم وإلى الوحدة الانسانية التي يمهد إليها بتوحيد الدين وارتباط القوميات والأجناس. ثم أخذ يتطور وينتشر في أنحاء الأرض وصار مذهبا من مذاهب البشرية لا يتحرج أي إنسان متحرر من أن يؤمن به. وقد مات المصلحون العظماء الثلاثة الذين دعوا إليه ولكنهم خلفوا ملايين الاتباع المنتشرين في أنحاء الأرض: لهم في كل بلد محفل أو هيكل ويقال أن بأمريكا وحدها نحو ثلاثة ملايين من البهائيين لهم مجامعهم. ولهم بشيكاغو هيكل فخم اسمه مشرق الأذكار يزوره الناس على اختلاف مللهم وأجناسهم وأديانهم أشار عباس عبد البهاء ببنائه على أجمل طراز لخدمة الجميع وأوصى بفتحه لكل الناس لا فرق بينهم وجمعت له التبرعات من أنحاء الأرض. وكان أول مشرق إذكار بناه البهائيون في روسيا.

وكما أن لهذا الدين اتباعا كثيرين فإن له كما لكل عقيدة أعداء ومقاومين وقد لاقت البهائية من الحكام والمتعصبين أشد ضروب المقاومة والاضطهاد..

وهي مثل كل دين آخر لها كتبها وطقوسها وأساطيرها وقد وضع عنها مئات الكتب في مختلف اللغات. وبالعربية عنها أكثر من عشر مؤلفات أكثرها مترجم عن الفارسية والانجليزية وأهمها كتاب الاستاذ ج. اسلمنت المسمى « بهاء الله والعصر الجديد » وكتاب مفاوضات عبد البهاء..

ولا يهمنا هنا غير صلة البهائية بالعالمية وهي صلة وثيقة إذ كلاهما يدعو إلى الأخاء العام والاتحاد العالمي والى التوفيق بين مختلف الأديان والمذاهب وتبجيل جميع الانبياء والرسل وكلاهما يقصد إلى

محو التعصب الديني والجنسي واللغوي ليحل محلها التسامح والايمان بالسلم وديمقراطية العقيدة ويمكن أن يقال أن العالمية فرع من البهائية .

سئل عبدالبهاء عن معنى البهائي فقال «لأن تكون بهائيا يلزمك أن تحب العالم وتحب الانسانية وأن تجتهد في خدمتها وتعمل للسلام العام والاخوة العامة » . .

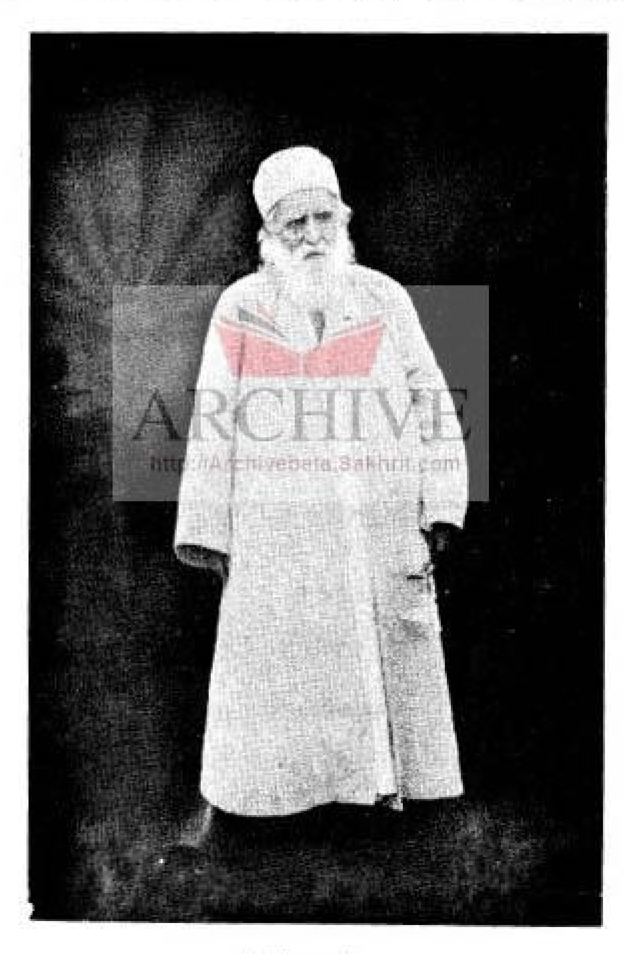
ويرجع السبب في إقبال الكثيرين على هذا المذهب لا سيما في هذا العصر الانتقالي المضطرب إلى أن الناس قد سئموا الاختلافات العنصرية والدينية وما يجلبه التعصب الجنسي والنعرات الوطنية المتطرفة من حزازات وعداء وتأهب مستمر إلى الحرب ومنافسة جنونية في التسلح واضطهاد للرأي الحر . .

* * *

أما المؤسس الأول للبهائية وهو ميرزا على محمد الملقب بالباب فقد ولد عام ١٨١٩ بشيراز . وكانت ايران يومئذ في حال يرثى لها من الفوضى والجهل والفقر . وكان الباب شابا ذكيا متصوفا فصيحا في الخطابة والكتابة . وفي الخامسة والعشرين من عمره أعلن أنه جاء للهداية والاصلاح ولكنه ليس إلا مبشرا يهيء الطريق لنبي أعظم منه سيأتي بعده ليصلح العالم ويوحده فتبعه كثيرون وذاع صيته فتصدى له رجال الدين وأوغروا صدور الحكام عليه وعلى أتباعه فأمعن هؤلاء فيهم قتلا وتشريدا ثم قبضوا على الباب وأعدموه بالرصاص وهو في الحادية والثلاثين . .

لم يدع الباب إلى العالمية بوضوح وجلاء كما دعا خليفتاه من بعده ، ولم يترك مثلهم تعاليم صريحة واضحة كثيرة كما تركا إذ كان بطبيعة نشأته شديد الاهتمام بالمسائل الدينية والخلقية وكان قديرا في تفسير الآيات القرآنية . وهو لم يعمر طويلا حتى يتم رسالته في التجديد والاصلاح ولم تزد سنو دعوته على ست سنوات قضى معظمها في السجن والنفي والاضطهاد ولكنه بالرغم من كل ذلك وضع الحجر الاساسي في صرح البهائية التي لم يزدها الاضطهاد الا ذيوعا و انتشارا في ايران وخارجها . . .

وكان الباب يقول ان غرض البابى هو المحبة الخالصه بدون رجاء فى الثواب أو خوف من العقاب وكان يدعو الى معرفة الله ومحبته وعدم الخوف من الموت والى نشر الفنون والصناعات النافعة وتعميم



عباس عبد البهاء

التعليم الاولى وتحرير المرأة ومنع التسول ومساعدة الفقراء من الخزانة العامة . ووضع تقويما جديداً قصد به الى توحيد التقويم وملاءمته الى جميع الأمم أعاد فيه العمل بالسنة الشمسية وسمى الشهور باسماء الصفات الالهية وبدأ تاريخ العهد الجديد من سنة اعلان دعوته ..

وكان بين تلاميذ الباب شاب ذكى فصيح قوى المحبة شاعر النفس هو ميرزا حسين على الذى ولد بطهران عام ١٨١٧ . كان أبوه وزيرا ولكنه لم يسلم أيضا من السجن والنفى الى العراق ولم يلبث أن أعلن أنه الموعود الذى بشر الباب بمجيئه وبدأ يدعو مثله الى الاخاء والمحبة وتحرير الذهن فالتف حوله البابيون ولقبوه بهاء الله وتسموا هم بالبهائيين فنفته الحكومة العثمانية معاسرته وعددمن أتباعه الى ادرنه ثم الى عكا ولكنه لم يكف عن الدعوة والكتابة وأمر أتباعه بعدم المقاومة أواستخدام الاسلحة حتى فى الدفاع عن النفس وأرسل الى الملوك ورؤساء الدول يدعوهم الى تأسيس الديانة الحقة والحكومة العادلة والسلام الدولى العام ومات عام ١٨٩٢ مخلفا كتابات كثيرة ومؤلفات اشهرها كتاب « الايقان » . وكتاباته تبحث فى كثير من شئون الحياة الانسانية وتدعو الى اتحاد العالم كله فى الله ومن أقواله المأثورة : « جميعكم أثمار شجرة واحدة وأوراق غصن واحد وأزهار حديقة واحدة وليس الفخر لمن يحب وطنه بل لمن يحب العالم » .

وقبيل موت بهاء الله فى منفاه زاره المستشرق ادوارد بروان الاستاذ بكلية كامبردج والذى مجد البهائية وبهاء الله فى كتبه .. ومما أورده فى « حكاية سائح » من أحاديث بهاء الله هذه العبارة التالية التى تدل بوضوح على النزعة العالمية المسيطرة على المذهب الابهائى .

« نحن لا نريد الا اصلاح العالم وسعادة الامم وهم مع ذلك يعتبروننا مثيرى الفتن والقلاقل .. فأى ضرر فى أن يتحد العالم على عقيدة واحدة وان يكون الجميع أخوانا وان تستحكم روابط المحبة والاتحاد بين بنى البشر وان تزول الاختلافات الدينية وتمحى الاختلافات الجنسية ؟ لا بدمن حدوث هذا كله .... فستنقضى هذه الحرب المدمرة والمشاحنات العقيمة وسيأتى السلام الاعظم .. الستم تحتاجون الى ذلك فى أوربا أيضا ؟ اليس ذلك ما تنبأ به المسيح .. ومع ذلك فانا نرى ملوككم وحكامكم ينفقون خزائنهم على تدمير الجنس البشرى بدلا من صرفها على ما يؤدى الى سعادته ....

ولا بد من زوال هذه المشاحنات والبغضاء، وهذا السفك للدماء وهذا الاختلاف. ويكون جميع الناس جنسا واحدا واسرة واحدة . . فلا يفتخر الانسان بأنه يحب وطنه بل يكون فخره أنه يحب جنسه »

أما ثالث رسل البهائية فهو عباس عبد البهاء أكبر أبناء بهاء الله ومنظم المذهب البهائي واعظم الداعين اليه والى العالمية . وقد ولد بطهران عام ١٨٤٤ فى اليوم الذى أعلن فيه الباب دعوته وتوفى عام ١٩٢١ وهو لم يذهب الى المدرسة كأبيه وكان معلمه الوحيد والده . وكان شديد التعلق بأبيه مؤمنا برسالته ملازما له فى منفاه وكتبه وقضى ٥٥ عاما من حياته فى النفى والسجون . يعيش عيشة سهلة يساعد الفقراء ويزور المرضى ويحب الاطفال . .

كتب المستر هوريس هوالى فى كتابه « الديانة الاجتماعية الحديثة » عن عبد البهاء . « فى مجلسه تبطل جميع الفوارق التى تتميز بها الطبقات ويزول التعصب الدينى وتتكسر كل القيود ولا يبقى سوى القانون الأصلى الأساسى الذى يجمع كل القلوب على المحبة الخالصة »

ولما افرج عنه عقب الثورة التركية استطاع أن يزور مصر واوربا وأمريكا حيث كان يلقى خطبه فى المساجد وكنائس المسيحية على اختلاف مذاهبها وفى معابد اليهود وفى المحافل والمدارس وجمعيات السلام والاسبرانتو والمطالبات بحقوق المرأة والأفكار الجديدة وغيرها وكان يستمع له أناس من شتى العقائد والاديان والأجناس .

وكان فى خطبه كما فى كتاباته وأحاديثه الخاصة شديد الاهتمام بالمبدأ العالمى على الأخص فهو يدعو إلى الوحدة الدينية بحرارة ويقول فى احدى لوحاته « يأهل الأرض إن الفضل فى هذا الظهور الأعظم أنا محونا من الكتاب كل ما هو سبب الاختلاف والفساد والشقاق وأثبتنا فيه ماهو سبب الأتحاد والوفاق والوئام .طوبى للعاملين»

ويقول كما جاء بكتاب الاستاذ اسلمنت : « يجب على الجميع ترك التعصبات وأن يتبادلوا زيارة الجوامع والكنائس بعضهم مع البعض لان اسم الله يذكر فى جميع هذه المعابد فما دام الكل يجتمعون لعبادة الله فلا خلاف بين الجميع . .

وهو من المؤمنين بنظرية النشوء والارتقاء ، والقائلين بوجوب اتحاد العلم والدين ، والمتفائلين بمصير البشرية ، الحالمين بالعصر الذهبي حين تصبح الأرض طوبى تتحقق فيها امبراطورية الانسان والحكومة العالمية . وهذا العصر الذهبي المنشود لن يتحقق حتى يزول الجهل والفقر وتسود العدالة فى جميع الامم ويمتنع استعباد العمال ، وتتحرر المرأة وتتساوى مع الرجال ، ويعم التعليم والفنون والصناعات وتقوى الاخلاق ويعامل الناس بعضهم بعضا بالمحبة والاخوة ويتحرر العقل من التعصب الدينى والجنسى والقومى . .

ومادام التطور يسرى على كل الكائنات فلا بد من أن تتغير الطبيعة البشرية وهذا التغير فى رأى عباس عبد البهاء غير مستحيل لان العلم والدين يقولان به ولان جميع الكائنات لاتنفك عن التحول والتغير ولذا فستتبدل الانسانية وتلبس شكلا جديدا للحياة مخالفا للشكل الأول . .

أما بخصوص التعصب الجنسى فيقول عبد البهاء : « أنه وهم وخرافة واضحة لأن الله خلقنا جميعا جنسا واحدا ومنذ البدء لم تكن هناك حدود بين البلدان المختلفة فلا يوجد فى الارض جزء مملوك لقوم دون غيرهم وفى نظر الله لا يوجد فرق بين الامم المختلفة فلماذا يخلق الانسان مثل هذا التعصب ولماذا تقام الحروب من أجل وهم باطل كهذا ؟ . »

ويقول « قيل فى السابق حب الوطن من الايمان وأما فى هذا اليوم فلسان العظمة يقول ليس الفخر لمن يحب الوطن بل لمن يحب العالم »

ومن أجل اتحاد الشعوب دعا عبد البهاء الى تأليف عصبة الامم ووضع لها نظاما قبل أن تكون العصبة الحالية باربعين سنة ورأى تأسيس محكمة دولية للفصل فى المنازعات بدلا من الالتجاء الى الحروب . ورأى أن تتحد دول الأرض على نزع السلاح

ثم حث على اتحاد الشرق والغرب وتبادل المنافع بينهما وقال « علينا جميعا شرقيين وغربيين أن نجتهد ليلا ونهارا قلبا وقالبا لنصل الى هذه الغاية السامية وتؤكد الوحدة بين ملل الأرض . لتصبح الارض الجنة العالية عندما يجتمع كل البشر تحت ضياء الوحدة فى الملكوت الابهى »

هناك عقبة فى اتحاد الشعوب هى اختلاف اللغات وتعددها ولذا فعبد البهاء يدعو الى تعميم لغة عالمية يتفاهم بها كل الناس فيقول فى احدى لوحاته : « انا أمرنا بيت العدل من قبل الى

الالواح ان يختاروا لساناً من الالسن الموجودة أو يبتدعوا لغة جديدة وكذلك يختاروا خطاً من الخطوط ويعلموا به الاطفال فى مدارس العالم حتى يشاهد العالم وطناً واحداً وأرضاً واحدة »

ومن خطابه فى جمعية الاسبرانتو بباريس : « أن تنوع اللغات من أهم اسباب الاختلاف بين الامم فى أوربا ومع أنهم جميعاً ينتسبون إلى ملة واحدة ولكن اختلاف اللغة بينهم أصبح من أعظم الموانع لاتحادهم . ووحدة اللسان من أعظم الوسائل لاتحاد الشرق والغرب فيه يصبح العالم جميعه وطناً واحد . . »

ومما قاله فى جمعية الاسبرانتو بادنبرج « أنه شجع البهائيين فى الشرق على تعلم لغة الاسبرانتو لتوسيع دائرة حسن التفاهم بين الشرق والغرب » . إلا أنه يرى ادخال كلمات من جميع اللغات فيها وأن يقرها مجلس مكون من جميع الامم

ولما وصل عباس عبد البهاء إلى سن السبعين أذاع نداء جاء به : « . . والآن وقت الاتحاد



صبيان البهائيين فى اليابان

والاتفاق والآن وقت الوفاق الروحانى لاحباء الله . انى اوجه أذنى للشرق والغرب لعلى أسمع ترنيم المحبة والوفاق ترتفع فى مجامع الاحباء ..»

ولما مات فى نوفمبر ١٩٣١ حزن العالم على فقده وسار بمشهده عشرة آلاف من جميع الاجناس والأديان وأبنه مندوبو الجمعيات الاسلامية والمسيحية واليهودية كأنما كانت الإنسانية تبكى وراءه ذلك الحنين الأبوى إلى الوحدة البشرية وإلى التسامح والأخوة العامة



شبلي شميل

لمناسبة مرور عشرين سنة على وفاته

« كن شديد التسامح مع من يخالفك في الرأي . فإن لم يكن رأيه كل الصواب ، فلا تجعله أنت بعنادك وتعصبك كل الخطأ . لان أقل ما في اطلاق الفكر ، والقول ، والعمل ، تربية الطبع على الشجاعة والصدق ... »

شبلي شميل

قبل ختام سنة ١٩١٧ بساعات قلائل ، وفي الهزيع الأخير من أمسية ٣١ ديسمبر ، وقد أخذ الناس على اختلافهم ، يتأهبون لاستقبال العام الجديد ، ويتحولون عن التساؤل عما قد كان ، الى استطلاع ما قد يكون ، ... اذا بنعي العلامة الحر والفيلسوف المجدد الأشهر « شبلي شميل » يقرع الآذان في مثل دمدمة العاصفة الجائحة . ويدهم النفوس في مثل قصف الرياح الهوج !

مات الدكتور شبلي شميل — في مثل هذا اليوم ، من عشرين سنة كاملة ، وكان العالم آنئذ مختنقا بسحب الحرب الأوربية الكبرى ، فعلت طلقات المدافع الداوية في أرجاء الدنيا على صوت الناعين ، والمؤبنين ، وطغت لعلعة المدمرات المهلكة على أنين العارفين لفضله ، والمقدرين لأثره في الحركة الفكرية ... ومضى الرجل الأبي الجرئ ، وسط مظاهر التأثر العميق ، وألوان الهيبة الشاملة لم يشعر به إلا القلائل من صفوة أهل العلم ، والفضل والأدب ، وفقد الشرق كله ، بموته مصلحا يعز على الأيام نظيره ، من خيرة رجال الاجتماع . وطبيبا نفسيا ، بارعا عظيم الحجة ، واسع المعرفة والاطلاع . عاش ليكتب ، ويفيد ، ولم يكتب ليعيش ، ويستفيد . وشغف طوال حياته ، بأن يزود الثقافة العربية ، بأنضج المبادئ الحديثة ، متلعاً عن التقليد في درس المسائل العمرانية ، مستهينا بكل مشقة في سبيل خدمة العلم ، والأدب ولا تزال الروح القوية الخالدة التي بثها في نفوس الناشئة الجديدة ، حية باقية لن تموت . والأثر الثابت الذى خلفه في عقول المستنيرين والمثقفين والمهتدين بنوره ، لم تبرح جذوته متقدة وضاءة لا تخمدها مر الاعوام وكر الدهور !

آراؤه فى النشوء والارتقاء !

منذ أكثر من خمسين سنة وفد الى مصر من القطر الشقيق طبيب شاب ،فى نضارة العمر وصدر الحياة ونزل فى مدينة «طنطا» ليعمل بها ثم ضاقت به فرحل الى العاصمة .وكان هذا الطبيب ـ فى عهدالتحصيل والدراسة ـقد اكب على بحث الافكار العلمية التى أنتجتها عقول بعض كبار المفكرين فى أوربا . واستطاع أن يستوعب الكثيرمن المعارف العمرانية التى يشتغلون بها .فاعتاد بذكائه الجم وفطنته الموفورة طريقة التفكير العلمى الصحيح محررا عقله من القيود والاساليب القديمة التىوضعها الاسلاف .محتذيا فى طرائقه واتجاهاته ، المبادىء التى يرسمها هؤلاء الاعلام.

كان هذا الطبيب هو «الدكتور شبلى شميل» ـ وكانت هذه المبادىء التى توفر على درسها، هى التى اشتمل عليها مؤلفه القيم فى مذهب «النشوء والارتقاء» للعلامة «داروين» .وقد ذكر فى أحد فصوله كيف اعتنقه ،وآمن به،بينما كانت أوربا لاتزال تقاومه وتنكره فى ذلك الوقت زهاء سنة ١٨٧٠ فقال :ــ «سمعت ولا أذكر كيف سمعت ـ أنه قام رجل يدعى أن أصل الانسان من القرد . فلم أتحر حقيقة هذا القول ـ اذ لم يكن فى تعليم الكلية ما يحملنى على التبصر فيه ـ وغاية ما اذكر انى أظهرت اشمئزازى من قائله الذى اعتبرته حينئذ دعياً أو مخرفا خالف الناس ليعرف !.ولا عجب فأن الكيفية التى ذكر لى بها،والتى يذكره بها خصومه ومعارضوه ـ من أن القرد أصل الانسان لايمكن الا أن تحدث فى نفس سامعها لأول مرة تقززاً ونفورا ،وهو متشرب بالاعتقادات المألوفة ولو أن فى نوع الانسان من هو أحقر من القرد بكثير ـ وهو سلاح يشهره عليه خصوم هذا المذهب لتحقيره . والحقيقه أن مذهب داروين لا يقول أن القرد أصل الانسان وان الحمار اصل الفرس بل يقول أن القرد والفرس وسائر الأحياء من أصل واحد .فى نشوئها من مواد الطبيعة . وبمجرد قواها .وقد تغيرت وفقا لناموس المطابقة ،حتى بلغت الى مبلغها الحالى بالانتخاب الطبيعى ..»الخ.. الخ..

ولم يلبث فيلسوفنا «شميل» حتى تعرف وجهة الصواب فى هذا المذهب ـ بعد الدراسة الطويلة. ثم لم يلبث ان أصبح موضع تفكيره ومحور غرضه فى كل مناسبة .ولم يجد أدنى صعوبة فى تطبيقه على اقصى ما يرمى إليه .وأى شيء أفيد فى الدنيا من معرفة تحول المادة وعناصر قواها .وإدراك انها شيء لاتهدأ

له حركة ؟ . . «الفة فى الجماد . وانتخاب فى النبات . وادراك فى الحيوان . وارادة فى الانسان» كما يقول العلامة يعقوب صروف ــ طيب الله ثراه ــ « سمها ما شئت : حركة او حرارة ، أو نورا ، أوجاذبية ، أوحباً ، أوشوقاً ، على اختلاف آفاقها ــ فهى جميعا ، واحدة فى الجوهر ، وان اختلفت فى المظهر . . فان كل مافى الانسان مكتسب من الطبيعة . . . » !

ولقد كان شبلى شميل فى هذه الناحية ، من مفاخر الشرق الحديثة ، وشهدله الاوربيون انفسهم وكانوا قبله قلما يعتدون برأى مفكر فى الشرق فى العلوم أوالفنون . ولهذا ذاعت شهرته الى ماوراء الاطلنطى ، وغدا زعيم الطبقة المفكرة المستنيرة ، وامام المجتهدين فى العالم العربى .

مذاهبه الأجتماعية !

كان الدكتور شميل ، من اشد احرار الفكر وطأة على التقاليد . ومن اقسى الثائرين تقويضاً للقديم البالى ، وهدما للاوضاع العتيقة . كما كان على رأس الموهوبين فى محاولته الكشف عن حقائق ماوراء المادة . والمجاهرة بها فى غير تردد . ذلك لانه كان من خيرة العارفين بالتحليل النفسى ، ورد الظواهر الى اصولها وبواعثها . فكان يوحى اليه بما يكتب ويقول .

ولاريب أن العارفين لامراضنا الاجتماعية قليل عددهم . وان المجاهدين بما يحتاج اليها من العلاج اقدر واندر . ولعل الدكتور شبلى ، كان من اجرأ ، وأشجع المجاهرين بارائهم فى هذا الصدد . لانه كان يرى أن المصارحة بالداء ليست بعار وان آلمت . وان الاداب ليس لها فى ذاتها قيمة تذكر . ولكن قيمتها الحقيقية فى مدى النفع الذى يعود منها على الامة . وانها كما تختلف بتوالى الزمن ، تختلف كذلك بتغير المكان ، وتغير الناس . وهذه الاراء ، كانت اساساً لمذاهبه الاجتماعية ، التى لم يكن فيها مسبوقاً من أحد . وكانت همته تنزع به فى سبيل التحمس لها ، الى ابعد الغايات ، واوعر المسالك . اذ كان يؤمن أن الغاية الحقيقية من تعميم هذه المبادئ ، هو تعويد الناس الصراحة ، فيستطيعون فى ضوئها الوصول الى جوهر الاشياء ، دون العرض . وصرف الافكار والاراء عن الظواهر المضللة الى كل نافع . ومعرفة الحقيقة كلها من غير الخوف من ايلامها والوجل من عواقبها . اذ العصر الحالى ، لم يعد يتسع للضعيف ، لأن البقاء للاصلح ، بحكم التنازع للحياة . . !

ولم يكن شبلي شميل مادياً فقط ، بل كان كذلك إنسانياً عظيماً ، يحض على تعاون الناس ، في كل مكان مما يدعوهم الى التسامح ، وينادى بتصافح الامم من فوق حدود الاوطان . . .

كتبه ومؤلفاته

كان العلم ، والأدب ، والفلسفة ميدان شبلي شميل ، لا يتعداه الى غيره . ولذا بذ في كل فرع منها وأبدع ، والم باطرافها واجاد . واستخدم وسائل متعددة في اداء رسالته الصادقة ، واضعا نصب عينيه التحريض على غرس مبادىء الحقيقة منهـا في نفوس الناشئة الجديدة . اذ وجد ان العالم ليس في حاجة الى كثرة النظريات ، وتحصيل المعارف . بقدر ما هو في حاجة الى تنفيذها وتطبيقها والاستفادة منها في معترك الحياة ولو بالقوة ...

وكانت الحكمة ، والصراحة ، جميعا الصفتين المتغلبتين على عقل شبلي وروحه . والبارزتين بكل جلاء ووضوح في كل أثر من آثاره العظيمة طوال حياته المفعمة بالجد والعمل والقوة والنشاط . وكان شعره وأدبه — كحكمته ، وفلسفته ، ثائرا جبارا عاتيا ، يتعشق الواقع ، ويهوى النفاذ الى صميمه ، ولو كان يقطر لهبا ، ، ويلفظ حمما .

وعلى هذا السياق ، وذلك المنهاج سار الدكتور الشميل في مؤلفاته جميعا . ففي كتاب «النشوء والارتقاء » الذي يتألف من جزءين ضخمين ، بلغ فيهما الغاية في دقة الالفاظ ، ودقة المعاني والتدقيق في اللفظ تدقيق في التفكير . وفي روايته القصصية الرائعة «ايفجيني» المترجمة شعرا عن «راسين» . وفي عشرات الاعداد من مجلته الطلية « الشفاء » وفي روايته العظيمة «الحب على الفطرة» أو «حياة دفينس وخلوى » التي ترجمها عن كاتب يوناني مجهول الاسم ، في القرن الثالث أو الرابع قبل المسيحيه . وفي « المـأساة الكبرى » التي وضعها عن الحرب الاوربية الماضية . وفي «خطاب الى روزفلت» — في كل هذه المؤلفات العظيمة ، التي خلبت الباب الناس وكانت خير غذاء للعقول ، كان شبلي شميل ، كالبناء الذي يشيده البناء على قوة سواعده الهرقلية . لانه كان يحاول وحده اقتطاع الحجر ، وتشييد الاساس ، وتدعيمه بجهوده الشخصية

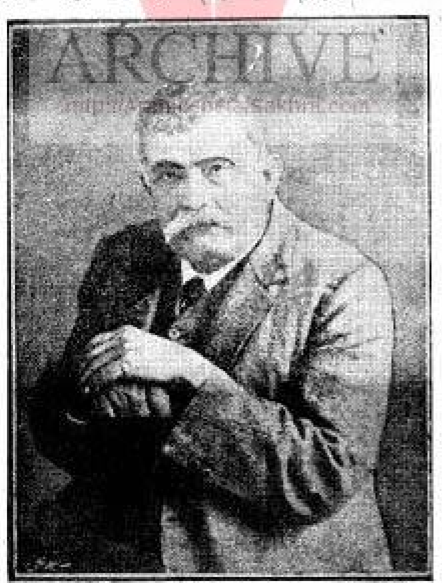
وقد يعجب القراء ، ان يكتب شميل ، أو على الاصح يترجم قصة عن «الحب على الفطرة»

وهو الرجل المادى الذى يتحكم عقله فى معانى الحياة وتنبض روحه بحقائق الوجود ـ ولكنهم حين يعلمون أنه كان يتخير القصص التى تطابق نزعاته فى اثبات أصل الانواع ، يدركون مدى قوة الرجل على نشر آرائه ، والترويج لها بمختلف الاساليب ...

وفيما يلى قطعه من هذه القصة ؛ و هى تصف الحب بين راع و راعية نقدمها كانموذج من اسلوبه : —

« ولما جاء الربيع وجعل الثلج يذوب والارض تتكشف والعشب يطلع ... خرج الرعاة لتستريح ماشيتهم فى الحقول . وفى طليعتهم دفينس وخلوى لحبهما وحرقتهما اكثر من الجميع ثم ذهبا وجلسا تحت السنديانة يراقبان الغنم والماعز . وبعد قبلات بينهما لا تعد قاما يفتشان عن الأزهار التى تفتحت ....

«وكان يسمع وقتئذ ثغاء الغنم وترى الحملان تقفز ثم تتماطى ، وتدخل تحت بطون امهاتها . والكباش



شبلى شميل

تعدو وراء النعاج مع اناثها . فتقفز حولها وتتناطح لاجلها اياه . ورائدها الحب . ولكل واحدة منها خاصة يغار عليها ويحميها من اعتداء الغير ...

«فلما رأى دفينس ذلك واقتنع به . قام الى خلوى وأخذ يقبلها من قفاها مقلدا التيس . ولكنه كان بذلك أقل اكتفاء منه بقبلة الثغر . ثم تركها وانطرح على الأرض لهفه وطفق يبكى . ويرثى لنفسه وعجزه لأنه رأى ذاته أقل من الكباش علما بقضاء وظيفة الحب ... »

وبهذه الأساليب المشوقه عمم الدكتور شبلى مذاهبه العلميه فى كل مؤلفاته وحببها الى الجمهور وقربها الى عقول أفراده الذين كانوا يشق عليهم فى ذلك الوقت قراءة كتاب جدى حتى أدخل الى اذهانهم اهم النظريات الحديثة .. !

شعره وفلسفته

استوحى شبلى شميل فى شعره العلم التحقيق والبحث الفلسفى فاوحيا اليه افكارا جديدة واتجاهات حديثة . هى عين الخلق فى الانتاج والابتكار فى الآراء . وكان لفرط ذكائه ودقة حسه ورهافة شعوره يمزج الحقائق التى تستهويه والتى لا يعود يحفظ بمسه عن ابدائها بالبديع من الخيال ويصوغها بأساليب غايه فى الجزالة والبساطة التى يسيغها كل عقل وكل ذوق . دون الالتجاء الى أية وسيلة من وسائل التنسيق او المغالاة كى يستفيد منها الجيل الناشىء وينتفع بما تحفل به من الأفكار والحقائق الرائعة التى تدعو الى اعمال الفكر والنظر . وتبعث على التأمل والتبحر ..

وكانت المعانى فى شعره تنقاد اليه بلين لم تألفه العربيه من قبل الا فى شعر «المعرى» ، وزادت فى ثروتها اللغوية وجمالها . ويكفى انها نفحة قلب هـذا المجدد الثائر على انظمة البشر التقليدية ، للدلالة على مدى ما تنطوى عليه من العظمة الجوهرية ، التى تغنينا عن التطويل، قال يصف «الخيال»

هل الجسوم سوى النفوس سوا كناً وثوائراً ملأت فسيح فضاء !
لا تكثروا من عاذل شكوى ، فهل جازت عليكم حيلة الشعراء
ان القلوب اذا تقاسمت الهوى ماذا يعز تكاثر الرقباء
واذا النفوس صبت فليس يضيرها بون الهواء وشاسع الارجاء

وهـل النفوس عتيقهـا وجـديدها ...   الا سواء فى هـــوى ومضـــاء
وهى القديمة فى بقـاء دائم !   وهى الحديثة فى دوام بقاء !

وقال فى رسالته «الرجحان» : —

زعمـــوا انه غـــريب بأرض   ليس فيهـا سواه شىء غريب !
وعجيب عليـــه فيهـا اتصال   وانفصال لا شىء فيه عجيب !
ذاك سـر فوق العقول مصون   وعلينـا من جهـله تثريب ...
ان يعش فالمقر عنهـا بعيد   او يمت فالمقـر فيهـا قريب
مثـل كل الاحيـاء فيهـا بزوغا   ومغيباً ، فليس عنهـا مغيب !

الخ ... الخ ...

ومن قصيدة عن «الجاذبية» بين الاجرام — او الحب بين البشر . قال — :

شوق تكامل من ادنى الوجود الى   اعلى ، فأعلى ، الى أعلى اعاليـــه !
حتى تناهى وقلب المرء تلهبه   نار من الحب يذكيها وتذكيه !

هذا هو شعر شبلى شميل ، يبث نور العلم بين ثنيات النفوس وخلايا الافهام ، ويدعو الى طول التأمل ، وعميق التفكير ..

* * *

كلمة ختامية :

هذه عجالة عرضنا فيها لدراسة آثار الدكتور شبلى شميل ، لمناسبة الذكرى العشرينية لوفاته وانا لنرجوان يزداد النفع من جهوده الفكرية على الدوام . وان يتكاثر على مرور الايام عـدد من ينهضون لاقتفاء خطواته فى البحث عن الحقيقة . والمجاهرة بها . خدمة للاصلاح الاجتماعى . وتعميما للنور الذى ينطلق شعاعه من اراء المجددين الاحرار الذين هم على غرار هذا المفكر العظيم؟

« أسعد حسنى »

تاريخ حياة أول يناير

في منتصف الليل في نهاية يوم ٣١ ديسمبر يحتفل « أول يناير » بعيد ميلاده ويضاف عام الى عمره الطويل الذي يزيد عن القرنين ونصف القرن ! . في هذه اللحظة تبدأ حياة عام جديد . ولكن لماذا يبدأ العام بهذه اللحظة أو بهذا اليوم دون سواه ؟ ألا يصح أن يكون كل يوم ، وأن تكون كل ساعة ، وكل لحظة مبدأ لعام جديد ؟ إن لكل تقويم من عشرات التقاويم المعمول بها في العالم رأس سنة خاص به دون سواه . وكل منها قد اختير على أساس معين ومرت عليه تغييرات عدة .

ولما كان التقويم الميلادي هو الأليف لنا وأكثر التقاويم استخداما فاننا سنبحث في هذه الكلمة عن كيفية اختيار أول يناير ليكون رأس سنة هذا التقويم ، وعن التغييرات التي طرأت على مكانته بين سائر أيام التقويم حتى استقر في مقامه الحالي . ويحسن بنا أن نمهد لذلك بكلمة مختصرة عن أصل السنة وتقسيمها

أصل السنة وتقسيمها

سنة التقويم الميلادي قصد عند اختيارها أن تكون سنة فلكية شمسية وهي عبارة عن المدة التي تتم فيها الارض دورة كاملة حول الشمس . وقد قدر قدماء المصريين هذه المدة منذ آلاف السنين بدقة لابأس بها إذ عرفوا أنها ٣٦٥ يوما وهي في الواقع حسب المقاييس الحالية الدقيقة تساوي ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و ١٨ دقيقة و ٤٦ ثانية أي أقل من ٣٦٥ يوما وربع اليوم بدقائق معدودات .

قسمت السنة في عهد قدماء المصريين الى ٤ فصول تقع بين الانقلابين الشتوي والصيفي ، والاعتدالين الربيعي والخريفي ـ وقسموها أيضا كما قسمها قدماء اليونان بعدهم الى ١٢ شهرا قمريا ،

ولكن الشهر القمرى أى المدة التى يتم فيها القمر دورته حول الارض هى ٢٩ يوما ونصف اليوم فقط فكأن الاثنى عشر شهرا قريبا تساوى ٣٥٤ يوما فقط أى أقل من السنة الشمسية بنحو ١١ يوما وربع اليوم تقريبا مما سبب اخطاء كثيرة وتعقيدات متنوعة أدت الى ادخال كثير من التعديلات على التقويم خاصة فى عهد يوليوس قيصر وبعده .

وعلى ذكر الشهر القمرى نقول أن كلمة شهر فى الانجليزية مشتقة من كلمة القمر ، وكان بعض القدماء يسمون المدة التى يتم فيها القمر دورته حول الأرض سنة وهذا يفسر لنا ما جاء فى بعض الكتب المقدسة خاصة بحياة بعض البشر وتقديرها ببضع مئات من السنين ! مع أن أولئك البشر عاشوا اقيانا بعصور لاتعد غابرة اذا قورنت بالعصور التى مرت عليها البشرية ، وطبعا لم تكن هذه العصور كافية لاحداث تطور خطير فينا أدى بنا الى أن يكون متوسط عمرنا نحو عشر متوسط أعمار أسلافنا . واذا حسبت هذه المئين من السنين باعتبار أنها أشهر قرية وجد أن الأعمار أصبحت مما تألفه ونعقله .

والآن نعود الى تقسيم السنة الى أشهر فنقول ان قدماء الرومان لم يعتبروا السنة ١٢ شهراً كما عتبرها قدماء المصريين واليونان ولكنهم قسموها فى بادىء الأمر الى ١٠ أشهر قرية ولا تعرف كيف كانوا يتصرفون فى بقية الايام اللازمة لاتمام سنة التقويم حتى تساوى السنة الشمسية .

وكانت أول شهور سنتهم شهر مارس (نسبة الى اله الحرب) ويليه ابريل ثم مايو . يونيو . كوئتيلى سكستيلى . سبتمبر . أكتوبر . نوفمبر . ديسمبر .

ولادة «أول يناير»

فى حكم الملك نوما بومبيليوس (٧١٤ — ٦٧١ ق . م) أضيف شهران الى سنة التقويم الرومانى هما برابر فى آخرها ويناير فى أولها (يناير نسبة الى اله ذى وجهين وجه امامى وآخر خلفى ولعله كان ينظر بالخلفى الى العام المنصرم غير نادم على حوادثه ، وبالامامى الى العام المقبل مستبشرا متفائلا)

فى أحدى سنى حكم هذا الملك أصبحت السنة ١٢ شهرا ، وفى هذه السنة نفسها ولد « أول يناير » ليحتل المكان الأول فيها ولكن مقامه فى التقويم لم يستقر إلا بعد زمان طويل حدثت

خلاله عدة تعديلات منها الخطير ومنها القليل الشأن

ويرجح أنه عند ادخال هذين الشهرين فى سنة التقويم أنهم حاولوا أن يكون رأس السنة وهو أول يناير محددا بظاهرة فلكية ثابتة كما يظهر أنهم حاولوا أن يقع فى الانقلاب الشتوى (اقصر نهار فى السنة ويقع الآن فى ٢٢ ديسمبر) وهذا اختيار موفق لأن الشمس بعد هذا اليوم تبكر فى الشروق تدريجيا وكذا تزداد مدة بقائها فى الأفق من يوم الى آخر فكأن النهار تطول مدته تدريجيا حتى يبلغ نهايته العظمى .

ولكن اخطاء الفلكيين لم تجعل وقوع أول يناير فى الانقلاب الشتوى أمرا محققا .

محل أقامة « أول يناير »

لكل يوم فلكى اسم يفرضه عليه التقويم وأطلق أول يناير على يوم فلكى معين ، وعلى امثاله فى التقويم فى السنوات المتعاقبة وكان من السهل أن نعرف مقدما أى الأيام المقبلة سيحمل اسم أول يناير . ولكن ذلك لم يدم طويلا بعد ولادة أول يناير أى بعد أن ادخل شهر يناير فى التقويم اذ أنه فى اثناء حكم الملك نوما أدخل فى التقويم تعديل خطير لاصلاح بعض الخطأ الناشىء عن عدم مساواة سنة التقويم للسنة الفلكية وذلك بسبب سوء أختيار عدد أيام كل شهر .

عدد أيام شهور السنة :—

أراد الرومان أن يكون متوسط عدد أيام الشهر مساويا لعدد أيام الشهر القمرى ولهذا الغرض جعلوا اشهر السنة ٢٩ يوما، ٣٠ يوما بالتبادل ثم يهملون يوما فلاحظ فتكون عدد أيام السنه ٣٥٥ يوما وهذا يقل عن السنة الفلكية بقدر عشرة أيام وكسر من اليوم . ولكى تتفق سنة التقويم مع السنة الفلكية أمر الملك بادخال شهر اضافى اسماه مرسيدونيوس بين اليوم الثالث والعشرين واليوم الرابع والعشرين من شهر فبراير . أما اختيار عدد أيام هذا الشهر فكان مما أدى الى تعقيدات وتعديلات شنيعة . وكان لذلك بطبيعة الحال أثر سىء جدا فى الرأى العام للارتباكات التى تطرأ على جميع العقود والتعهدات ؛ وفى اثناء ذلك بطبيعة الحال كان أول يناير كسائر ايام السنة تحل حيثما أراد لها

القائمون بأمر التعديل ، وكانوا غالبا من الكهنة الذين استغلوا سلطانهم فى اغراض سياسية .

واستمرت الارتباكات شديدة حتى قل خطرها بتعديل يوليوس قيصر التقويم . وقبل ذلك فى سنة ٤٥٢ ق.م نقل فبراير ووضع بعد يناير مباشرة .

اصلاحات يوليوس قيصر فى التقويم

رأى هذا القيصر أن يضرب صفحا عن كل المحاولات التى قصد بها تقسيم السنة الى ١٢ شهرا قريا . واهتم بأن يجعل السنة فى تقويمه مطابقة للسنة الشمسية . ولذلك اعتبر السنة ٣٦٥ يوما على أن تجعل كل رابع سنة ٣٦٦ يوما وتسمى سنة كبيسة وبذلك يكون المتوسط قريبا جدا من السنة الشمسية وجعل الاشهر الفردية الترتيب كل منها ٣١ يوما وبقية الاشهر كل منها ٣٠ يوما ماعدا فبراير فقد جعل ٢٩ يوما فى السنة العادية و٣٠ يوما فى السنة الكبيسة وغير اسم شهر كونتيلى (وقد اصبح السابع ولو أن اللفظة معناها الخامس) وجعل اسمه يوليو تخليدا لاسمه .

ولعمل بعض تصحيحات فلكية أمر يوليوس قيصر أن يضاف الى سنة ٥٧ ق.م شهر ان اضافيان بصفة استثنائية وسميت باخر سنى الارتباك ولكن حالة التقويم مع ذلك لم تستقر

تعديل اغسطس قيصر

لا يمكن تسمية ماعمله اغسطس قيصر فى التقويم اصلاحا لأنه تعديل غير جوهرى اذ لم يتعد تغيير اسم شهر سكستيلى الى اغسطس تشبها بما عمله يوليوس ، وجعل عدد ايامه ٣١ يوما (مثل يوليو !) على أن يؤخذ له اليوم الزائد من شهر فبراير أقل شهور السنة اياما . ولكى لاتقع ثلاثة شهور متوالية عدد ايام كل منها ٣١ يوما فقد جعل سبتمبر ونوفمبر ثلاثين يوما ، وجعل اكتوبر وديسمبر واحدا وثلاثين يوما . وواضح أن كل هذا لم يؤثر فى محل أول يناير فى التقويم

اصلاحات البابا غريغورى الثالث عشر

فى سنة ١٥٨٢ بعد الميلاد وقع الاعتدال الربيعى فى ١١ مارس فاضاف البابا غريغورى الى الى هذه السنة عشرة أيام وجعل ١١ مارس ٢١ مارس لأنه رأى أنه عند عمل التقويم الرومانى

واختيار رأس سنته كان يلزم أن يؤدى ذلك (اذا كانت سنوات التقويم مساوية للسنوات الفلكيه فى عدد الأيام) الى أن يكون يوم ٢١ مارس هو يوم الاعتدال الربيعى .

وجعل السنوات القرنية بسيطة ما لم تقبل القسمة على ٤٠٠ أى أن سنة ٢٠٠٠ كبيسة

ومنذ ذلك الحين والتقويم الغريغورى هو المعمول به حتى الآن ؛ وهذا التقويم ينسب الى ميلاد المسيح مع أنه ليست هناك أمه تعتبر أول يناير هو تاريخ ميلاد المسيح وكل ما فى الامر أن السنة التى ولد فيها المسيح اعتبرت مبدأ لتعيين ما قبلها . وما بعدها من السنين . وكان مبدأ تعيين السنين قبل ذلك هو تاريخ تأسيس مدينة روما .

* * *

ومن هذا كله نستخلص أنه مسألة التقويم مسألة وضعية وان كل يوم كان تاريخه عرضة للتغييرات الكثيرة فلا معنى اذا للتعصب لتقويم بذاته دون سواه أو الى اعتبار يوم معين من أيام الاسبوع دون سواه هو أكثر الايام تقديسا فقد يحدث مانجعل أيام الأسبوع عشرة بدلا من سبعة فيرتبك ترتيبها .

والأفكار الحديثة فى تعديل التقويم يمكن أن تؤدى الى استنباط تقويم هو أصلح من أى تقويم آخر معمول به الآن . فاذا وفقت عصبة الامم الى تعديل التقويم وتوحيده تكون بذلك قد خطت خطوة واسعة نحو روح التفاهم . وعلى الاقل تكون قد أبعدت ماينشأ عن اختلاف أوقات الاعياد والمواسم عند الامم المختلفة من اظهار فواصل لامبرر لها بين مختلف الشعوب . ويكون الخير أوفر اذا جعلت فى التقويم المنتظر أيام تكون أعياداً عامة لكل البشر .

نظمى شحاته

فسيفولود جارشين

الزهرة القرمزية

قصة روسية مهداة الى ذكرى ايفان سرجفتش توجينيف

١

«باسم صاحب الجلالة الامبراطور بطرس الاول اطلب التفتيش على مستشفى المجاذيب هذا» رنت هذه الكلمات بصوت خشن عال، فلم يستطع كاتب المستشفى - وكان جالسا الى مكتب ملوث ببقع الحبر يدون بعض البيانات عن المرضى في دفتر كبير - ان يمنع شفتيه عن ابتسامة صغيرة. اما الشابان اللذان جاءا مع المريض فلم يضحكا، وبدأ عليهما التعب والهزال بعد هذه الرحلة في صحبة مجنون التي استغرقت يومين لم يعرف الكرى اثناءهما طريقه اليهما. وفي هـذه الرحلة قاسيا الاهوال وخصوصا في المرحلة الاخيرة منها اذ اشتدت وطأة الهياج على المجنون فاضطرا الى الاستعانة ببعض الجنود لتقييده حتى يأمنا اذاه ويضمنا وصوله الى المستشفى سالما.

كانت هيئة المجنون تبعث الرعب الى النفوس، ففوق بذلته الرمادية التي استحالت الى قطع من الخرق المهلهلة في ثورات جنونه الصاخبة كان يرتدي سترة قصيرة من قماش خشن وقـد التفت اكمامها الطويلة في عقدة محكمة وراء ظهره فابطلت حركة ذراعيه. اما عيناه الحمراوان فقد كانتا كأن الشرر ينبعث منهما، وشفته السفلى كانت تهتز في حركة عصبية ظاهرة، وكان شعره المجعد يتدلى باهمال فوق جبينه. وكان يتحرك في خطوات سريعة ثقيلة بين اطراف الغرفة وهو يلقي بنظرات فاحصة منقبة الى الدواليب والكتب والمقاعد دون ان يعني بالنظر الى رفيقي رحلته الا لماما

وقال الكاتب «خذوه الى الملحق ... الى اليمين»

فقال المجنون « انى اعرفه .. اعرفه ... لقد كنت هنا معك فى العام الماضى وكنا نفتش المستشفى ونتفقد شئونه ... انى اعرف كل شىء عنه ، وسيكون من العسير عليكم ان تخدعونى الآن . »

ثم اتجه الى الباب وسار بنفس الخطوات السريعة الثقيلة المستقرة مرفوع الرأس حتى خرج من الغرفة وانحدر الى اليمين متجها الى القسم الخاص بالمرضى بامراض عقلية . ولم يستطع رفيقاه ان يلحقا به الا مع الجهد والمشقة .

وقال لها « اضربا الجرس فانا لا أستطيع ذلك بعدما اوثقتما ذراعى »

وفتح احد الممرضين الباب فاذا بهم جميعا داخل المستشفى .

كان بناء كبيرا قديما على الطراز الحكومى . وكان طابقه الارضى مكونا من غرفتين كبيرتين احداهما للطعام والثانية يجتمع فيها المرضى الهادئون . وممر عريض ذى ابواب زجاجية ينتهى الى الحديقة . واثنتين وعشرين غرفة منفصلة للمرضى . وغرفتين مظلمتين للمرضى الثائرين احداهما كسيت جدرانها بخشب رقيق والاخرى بقماش ناعم . وغرفة كبيرة متوسطة السقف مقبضة الهيئة هى الحمام . وكان الطابق الثانى خاصا بالنساء ، وكانت تنبعث منه اصوات مزعجة يختلط فيها الصياح والعواء واللعنات . وكان المستشفى معدا لايواء ثمانين مريضا ولكنه كان الوحيد فى منطقة واسعة مترامية الاطراف فكان لذلك يضم ثلاثمائة مريض ، وكانت الغرف الصغيرة تكتظ باربعة أو خمسة أسرة ، وفى الشتاء حين كانت النوافذ تغلق والمرضى يمنعون من الخروج الى الحديقة والتجوال فيها كان جو المكان يصبح خانقا الى حد لا يكاد يحتمل .

وأخذ المريض الجديد طريقه الى غرفة الحمام ، وكانت هذه الغرفة تبعث الانقباض والوجوم الى نفس السليم فضلا عن ذى العقل المشوش المضطرب ، وكانت واسعة الارجاء ذات سقف مقوس كالقبو وأرض من الاحجار ونافذة واحدة فى أحد الاركان هى سبيل الضوء اليها . وكانت جدرانها مطلية بلون احمر قاتم وأرضها سوداء لتراكم القذارة عليها . وكان بها حمامان من الحجر مستطيلا الشكل ومليئان بالماء . وكان الركن المواجه للنافذة يحتله جهاز التسخين وهو يتكون من موقد من النحاس واناء اسطوانى كبير وعدد من انابيب الماء والحنفيات . ثم يزيد من كآبة المكان ووجومه

هيئة الرجل الموكل اليه أمر العناية به . . فقد كان قصير القامة غليظ الجسم صامتا متحفظا تبدو على ملامحه القسوة والصرامة .

وادخل المريض الى هذه الغرفة المروعة ليستحم ،وتنفيذا لأوامر الطبيب حاولوا أن يحدثوا بثرة كبيرة فى رقبته من الخلف ففزع وثار . كان رأسه يدور بمختلف السخافات فكان يخال نفسه تارة أمام المحكمة ، وكان يخال خصومه تارة أخرى قد تآمروا على القضاء عليه . ولعله كان يحسب نفسه فى الجحيم . . فى مكان ستصلى نفسه فيه بنار العذاب . فقاوم حراسه وممرضيه فى أول الأمر ما وسعته المقاومة ولكنهم فى النهاية غلبوه على أمره ونضوا عنه ثيابه . وحسبوا أنه رضخ للأمر الواقع ، ولكن الجنون أمده بقوة مضاعفة فضرب حراسه وأوقعهم أرضا ولم يتمكنوا منه إلا بعد أن تألب عليه أربعة منهم فاوثقوا ذراعيه وساقيه وحملوه إلى الحمام الساخن . وهيأ له عقله المضطرب أنهم يلقونه فى ماء يغلى لكى يعذبوه فحاول بأقصى ما يستطيع من الجهد أن يخلى نفسه من قبضتهم وأخذ يصيح بعبارات غير مفهومة اختلطت فيها الدعاء بالسباب حتى وهنت قواه فى آخر الأمر فاستسلم للقدر وفاضت الدموع الحارة من عينيه وهو يقول « أيها الشهيد القوى العظيم؟.. أيها القديس جورج !.. بين يديك اضع جسدى ... أما روحى فلا .. لا .. لا ...! »

وكان الممرضون لا يزالون ممسكين به على الرغم من هدوئه وانقطاعه عن المقاومة وامل الحمام الساخن و كيس الثلج الموضوع فوق رأسه قد أنتجا بعض الاثر. ولكن على الرغم من ذلك فانه حين أخرج من الماء غائبا عن صوابه كانت لاتزال به بقية من قوة الجنون فأخذ يصيح ويهذى قائلا «لأى سبب ؟ اريد أن أعلم لأى سبب؟ لم الحق الاذى باحد قط ، فلماذا تريدون قتلى؟ آه يا إلهى... يا إلهى! ... يامن استشهدتم قبلى ... انى أستغيث بكم ... انقذونى ... انقذونى . »

ثم أحس بالبثرة الكاوية على رقبته فأخذ يناضل ممرضيه بقوة اليأس ، وسقط فى أيديهم فلم يدروا ما هم صانعون به

وقال الجندى الذى عمل البثرة « اننا لا نستطيع أن نستمر على هذه الحال ... وأظن انه يجب أن ننتزعها »

ولكن هذه الكلمات البسيطة اشاعت الرعب فى اوصال المريض فاخذ يصيح قائلا «تنتزعونها ؟ ماذا تنتزعون ؟. ومن تنتزعون ؟ أأكون انا ؟» ثم أغمض عينيه فى فزع هائل وهو يهمس فى هذيان غير مفهوم . وجاء الجندى فاخذ منشفة خشنة ومسحها بسرعة وعنف فى ظهر المريض فزالت البثرة وازالت معها طبقة غير قليلة من الجلد تاركة وراءها جرحا مسحوجا احمر . وقد يكون الالم الناتج من هذه العملية فوق الاحتمال لمن كان مالكا لنفسه متمتعا بكامل صحته اما للمجنون فانه كان بمثابة النهاية لكل شىء .. فقد اهتز جسمه فى رعب قاتل وبحركة سريعة افلت من قبضة حراسه وممرضيه واخذ يعدو على ارض الحمام الحجرية عاريا ، ولعله خالهم قطعوا رأسه فازداد الصياح ولكنه لم يستطعه واخيرا حملوه الى فراشه ففقد الوعى حيث رقد فى سبات طويل عميق ، وكأنه من الاموات

٢

وصحا اثناء الليل

كان كل شىء ساكنا حتى انه استطاع ان يسمع تنفس المرضى الراقدين فى الغرف المجاورة ، ومن بعيد وصل الى سمعه حديث احد المرضى لنفسه وكان يصيح بصوت مزعج وهو محجوز فى احدى الغرف المقابلة . وسمع من الطابق العلوى امرأة تغنى أغنية فاحشة بصوت مبحوح . فاخذ المريض يصغى بانتباه الى هذه الاصوات المختلطة وكان قد بلغ الغاية من الضعف وضياع القوى بينما ظلت رقبته على حالها تسبب له من الالم ما لا يكاد يحتمل او يطاق .

واخذ يفكر ويسأل نفسه « اين ترانى اكون ؟ وماذا عسى ان يكون من امرى ؟» وفى لحظة خاطفة استطاع ان يذكر بوضوح تام حياته فى الشهر الاخير فادرك انه كان مريضا وانه كان يستضيف طائفة من اسخف الاراء والاقوال والافعال فهتز بدنه لهول الذكرى .

وتمتم لنفسه وهو يعود الى الاستغراق فى سباته مرة أخرى «ولكن كل شىء قد انتهى .. فالشكر لك ايها الاله الرحيم »

وكانت النافذة ذات القضبان الحديدية تطل على طريق ضيق لا يطرقه الناس وانما تزدحم فيه الاعشاب البرية واشجار الليلك التى كانت فى اوج ازهارها فى ذلك الوقت .. وفى مقابل النافذة

تماما كان يقوم جدار مرتفع لحديقة كبيرة وقد ظهرت من ورائه بعض فروع الاشجار الطويلة التى غمرها ضوء القمر فكساها بلون فضى جميل . وكانت ترى الى اليمين جدران المستشفى البيضاء بنوافذها ذات القضبان الحديدية ؛ والى اليسار جدران المشرحة الباهتة وقد كساها ضوء القمر بلون ابيض . وكان القمر يرسل اشعته الفضيـة من خلال نافذة المريض فيضيء ارض غرفته وفراشه ووجهه الشاحب الهزيل وقد ارتسمت عليه صورة بليغة لما كان يقاسيه من الالم والعذاب . فى تلك اللحظة لم تكن تبدو عليه اى سمة من سمات الجنون على الاطلاق وانما كان ينام نوم الرجل المضنى يستغرق فى سبات عميق . والى لحظات قصيرة كان يبدو انه رجع الى كامل وعيه واستعاد عقله ؛ ولكنه حين نهض فى الصباح بدأ مجنونا كما كان بالامس

٣

سأله الطبيب فى الصباح « كيف حالك اليوم ؟ »

ولم يكن المريض قد صحا من نومه تماما بعد ولكنه حين سمع صوت الطبيب قفز من فراشه وارتدى ثوبه وخفه وقال وهو يشير الى رقبته «بخير ما خلا هذه»

ثم اردف قائلا «لا استطيع ان احرك رقبتى دون ألم ، ولكن هذا لايهم كثيرا فكل شيء بخير مادام المرء يفهمه ، وانا افهم كل شيء »

وسأله الطبيب قائلا «اتعلم اين انت ؟ »

فاجاب المريض«طبعا يا سيدى الطبيب ! فى مستشفى المجاذيب ! ولكن ها انت ترى انه سيان للمرء ان يفهم او لايفهم .. سيان»

ونظر اليه الطبيب نظرة فاحصة ، فلقد كان وجهه الحلو المليح ولحيته الذهبية المشطة وعيناه الزرقاوان الهادئتان ــ كانت طلعته كلها فيها هدوء وغموض وابهام ، وكانت تستلفت النظر

ومضى المريض فى حديثه يقول «لم تصوب الى هذه النظرات الفاحصة ؟ أتحسب انك تقرأ بها ما فى روحى ؟ ولكنى استطيع ان اعرف مايدور بخلدك ! .. هل لك ان تخبرنى لم ترتكب الشر

والاذى ؟ ولم تجمع هذا الفريق من التعساء الاشقياء وتحبسهم فى هذا المكان ؟ لاتحسبن ان الامر يعنينى فى شيء ، فانا افهمه تمام الفهم ، ولست اهتم به لذاتى ولكنى اعنى به من اجلهم . اريد ان اعلم لم قضى عليهم ان يحتملوا هذا الشقاء ؟ .. ان الرجل ذا التفكير الكبير — التفكير العالمى — سيان عليه اين يعيش وماذا يحس ؛ بل سيان عليه ان يعيش او لا يعيش .. اليس الامر كذلك ؟»

وقال الطبيب وهو يجلس الى مقعد فى احد الاركان حتى يتسنى له ان يراقب المريض عن كثب « اجل ... هذا جائز »

واخذ المريض يذرع الغرفة جيئة ورواحا وهو يدب بحذائه على الارض بينما انفرجت اطراف ردائه فى اثر الحركة السريعة . ووقف مساعد الطبيب واحد المفتشين يراقبان هذا المنظر

وتابع المريض حديثه قائلا «وانا عندى هذا النوع من التفكير . وقد شعرت حين اكتشفته فى نفسى كاننا ولدت من جديد فصارت حواسى اكثر ارهافا واضحى مخى اكثر اجادة للعمل واصبح ما كنت اصل إليه فى الماضى بعد كثير من المشقة والجهد لايقتضينى الآن اكثر من وحى البديهة . لقد وصلت الى ما هو فى الواقع خلاصة الفلسفة وهاءنذا اجرب فى نفسى هذه النتيجة العظيمة « ان الزمن والمسافة إن هى الا اوهام مصطنعة من نسج الخيال ، فانا احيا فى جميع الازمنة والعصور واوجد خارج نطاق كل حد او مسافة — فى أى مكان أو فى غير مكان كما اشاء . ومن ثم ليس يضيرنى ان ابقى فى هذا المكان أو اكون خارجه وليس يضرنى ان اكون مقيدا أو اكون حرا ، وقد لاحظت ان كثيرين ممن يقيمون هنا مثلى ... ولكن الامر مع الباقين يختلف ، فلم لا تدعونهم يذهبون الى حيث يشاؤن ؟ .. ومن يريد ... ؟ »

وقاطعه الطبيب قائلا « انت تقول انك تحيا خارج نطاق الزمن والمسافة ، ولكن ينبغى ان توافقنى على الرغم من هذا اننا — انت وانا — نوجد فى هذه الغرفة الان (ونظر فى ساعته) فى الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم السادس من مايو عام — ١٨ فما قولك فى هذا ؟ »

« هذا لا يضيرنى فى شيء ، فسيان عندى أنى أكون أومتى اكون . ومادام هذا لا يضيرنى أفليس يعنى ايضا انى احيا فى كل زمان وكل مكان ؟

وضحك الطبيب ثم قال وهو ينهض متأهبا للانصراف « هـذا منطق غير عادى ولـكن قـد يـكون فيه شيء من الصواب . اسعدت صباحا ... الا تريد ان تدخن سجارة؟»

فقال المريض وهو واقف فى مكانه بعد ان أخذ السيجارة وقرض طرفا منها « شكرا لك . انها تساعد المرء على التفكير » ثم تابع حديثه قائلا « أمر هـذه الدنيا عجيب .. فهى من ناحية قلوية ومن الناحية الاخرى حمضية ، وهذا هو سر التوازن فيها : ان تتعادل العوامل المتعارضة بعضها مع بعض . اسعدت صباحاً ياسيدى الطبيب ؟»

وسار الطبيب فى طريقه لـكى يتم زيارته للمرضى الباقين . وكان الغالبيـة منهم واقفين فى انتظاره الى جانب أسرتهم . ولعل اطباء الأمراض العقلية هم اكثر طوائف الموظفين تمتعاً باحترام اتباعهم ومرؤوسيهم

والفى المريض نفسه وحيدا فاخذ يذرع غرفته جيئة وذهابا . وجيء بالشاى اليه فاجترعه وهو واقف فى جرعتين والتهم فى اثره قطعة كبيرة من الخبز الأبيض جاءت معه . ثم غادر غرفته الى فناء المستشفى وقضى بضع ساعات وهو يتحرك فى خطواته العصبية السريعة من مكان الى مكان .

وكان الجو رطبا والمرضى ممنوعين من الخروج الى الحديقة ، فلما جاء الطبيب المساعد ليبحث عن المريض الجديد وجده فى نهاية الدهليز ، وكان واقفا الى احد الابواب التى تصله بالحديقة وقد الصق وجهه بالزجاج واخذ يحملق الى الازهار . وقد لفتت نظره بصفة خاصة زهرة قرمزية مشرقة اللون لشجرة الخشخاش .

وربت المساعـد على كتفه وهو يقول . ارجوك الحضور الى الميزان . فادار المريض وجهه اليه وهو يخطو الى الخلف وقـد ارتسمت فى عينيه صورة ناطقة للحقد والكراهية ، ولـكن ما ان وقع بصره على محدثه حتى زال التعبير المطبوع على ملامح وجهه وتبعه دون ان ينطق بحرف كأنما تعوده فكرة عميقة . واستقر به المطاف الى غرفة الطبيب الخاصة ، فصعد المريض من تلقاء نفسه الى الميزان ولاحظ المساعد وزنه وكتب فى دفتر خاص امام اسمه ١٠٩ رطل . وكان وزنه فى اليوم التالى ١٠٧ رطل ، وفى اليوم الذى يليه ١٠٦ رطل .

وقال الطبيب : لو استمر الحال على هذا النمط لما استطاع ان يعيش واصدر اوامر مشددة لزيادة

نصيبه من الطعام المغذى .

ولكن وزن المريض اطرد فى النقصان على الرغم من هذه العناية بامر طعامه وعلى الرغم من حسن شهيته ، ولعل هذا كان راجعا الى انه كان قليل النوم دائم الحركة طوال الايام

كان يعرف أنه يقيم فى مستشفى المجاذيب ، بل انه كان يعرف أيضا أنه مريض ، وكان فى بعض الاحيان يصحو فى هدوء الليل بعد يوم كامل من الحركة المتصلة فيحس كأنما عظامه تكاد تتكسر ورأسه يكاد يتصدع ، ولكنه فى تلك الفترات كان مالك تمام وعية . وقد يعزى هذا الى سكون الليل وهدوئه أو قد يعزى الى قصور مخه عن العمل وهو لم يصح تماما بعد ، ولكنه على اية حال كان يدرك موقفه تمام الادراك ويشعر أنه مالك لقواه العقلية ، حتى اذا بدا الفجر وظهر ضوء الصباح وارتفعت اصوات الحياة المستيقظة بعد هجعة الليل عجز عقله عن ان يقابل هذه الظواهر بالهدوء والاتزان وعاد الى جنونه مرة أخرى . كان عقله مزيجا عجيبا من التعقل والهراء ، وكان يدرك ان جميع المقيمين فى ذلك المكان من المرضى ، ولكنه فى الوقت ذاته كان يزعم انه يعرفهم جميعا إما من صلة شخصية او عن طريق السمع بهم او القراءة عنهم ، وكان يعتقد انهم يحاولون اخفاء انفسهم فى ذلك المكان ، ويخال انهم ينتسبون الى جميع الجنسيات وينحدرون من جميع عصور التاريخ .

كان يرى فيهم فريقا من الاحياء وفريقا من الأموات ... أناسا من ذوى الشهرة والنفوذ والسلطان .. وجنودا من الذين قتلوا فى الحرب الاخيرة وقاموا من الأموات . كان يخال نفسه فى دائرة سحرية ، وفى طغيان أنانيته كان يتخيل نفسه المحور الانسانى الحقيق لتلك الدائرة كان يرى أن لكل واحد من نزلاء المستشفى رسالة يؤديها ، وهذه الرسالة كانت تتمثل له فى مغامرة عجيبة الغرض منها انتزاع الشر كله من الدنيا ، ولم يكن يعرف على وجه التحقيق كيف يمكن الوصول الى هذه الغاية ولكنه كان يشعر فى نفسه بالقدرة عليها والكفاية لها . وكان يعتقد أن فى وسعه أن يخترق أفكار الغير حتى يصل الى أغوارها كما كان يعتقد ان فى وسعه أن ينظر الى الشئ فيقرأ فى لحظة تاريخه الغابر ، فمن ذلك انه كان ينظر الى أشجار الدردار الباسقة فى فناء المستشفى فيقرأ فى تاريخها أسطورة كاملة لوجود الانسان ، بل ان بناء المستشفى ذاته -- وهو من طراز قديم فعلا -- يرجع فى نظره الى عهد بطرس الأكبر ، وكان يؤمن أن القيصر نفسه قد عاش فيه بعد موقعة

بولتافا . وكان يقول انه يستقى هذه المعلومات من الجدران ومن المصيص المتآكل ومن قطع اللبن والجير التى يعثر عليها فى الحديقة . وكان يذهب الى البناء الصغير الذى يحتوى على المشرحة فيتمثل عشرات ومئات من الأموات ويحملق باستمرار الى النافذة الصغيرة المطلة على الحديقة فيرى فى الواجهات الزجاجية الملونة القذرة وجوها يعرفها من واقع الحياة أو من الصور والرسوم .

وكان الجو فى ذلك الوقت صحوا بديعا فكان يقضى أياما بتمامها وهو يسير فى الحديقة وكان جزؤها الخاص بالمرضى كثير الأشجار وافر الزهور . وقد أباح رئيس المستشفى لكل مريض قادر ان يشترك فى عمل الحديقة على مدى استطاعته فكان المرضى يقضون اليوم طوله فى كنس الحديقة ورش طرقاتها بالرمال وفى تنقية الاعشاب منها وسقى زهورها . وكان فى أحد أركانها عدد كبير من أشجار الكريز بينما احتل جانب منها صف طويل من أشجار الدردار . أما الوسط فقد نظم على صورة مرتفع صغير خصص للأزهار وقد بدت فى قمته زهرة نادرة الجمال هى زهرة الداليه ذات اللون الاصفر والحافة القرمزية . فكان المرضى ينظرون إليها كأن لها دلالة سحرية خاصة . وكان المريض الجديد بصفة خاصة يراها شيئا غير عادى — تاجا للمكان كله .

ونمت الازهار فى جميع الطرقات ، وكانت متعددة الانواع تجمع بين مختلف الورود واشجار الدخان بزهرها الاحمر الصغير والبريانا واشجار الخبجر واشجار عرف الديك واشجار الخشخاش وكان من بينها ثلاث مجموعات من نوع خاص من الخشخاش تمتاز زهرتها بلونها القرمزى اللامع وكانت هذه هى الزهرة التى لفتت نظر المريض الجديد حين كان يتطلع اليها من الباب الزجاجى فى اليوم الاول لوصوله .

وعندما نزل الى الحديقة لاول مرة وقف عندها واستغرقه النظر اليها .. كانتا اثنتين منعزلتين عن بقية الزهور وقد نمتا بطريق الصدفة فى ركن مهمل منعزل فظهرتا وسط كومة من الحشائش والاعشاب

ومر المرضى صفا متلاحقا امام الباب حيث وقف احد الممرضين ليعطى كلا منهم « طاقية » بيضاء من القطن رسم عليها الصليب الاحمر . وكانت هذه الطاقية تستعمل فى المستشفيات العسكرية اثناء الحرب ثم بيعت بالمزاد . ولكن المريض — وكان مستغرقا فى تأملاته الخاصة — استلهم

معنى خفيا من رسم الصليب الاحمر ، فلما تناول طاقيته نظر الى الصليب اولا ثم الى زهرة الخشخاش بعد ذلك . وكانت الزهرة اخف لونا فقال «هذا نصر عظيم وسنرى »

ثم نزل الدرج الى الحديقة وتخطى الممر الى المنطقة المزروعة ومد يده الى الزهرة ولكنه تردد فى قطفها .. خيل اليه انه يشعر بحرارة أو باحساس ساخن يسرى من الزهرة الى يده المحدودة ثم الى سائر جسمه وكأن هناك تيارا غامضا لقوة خفية ينبعث من الزهرة ويؤثر على كيانه كله . واراد ان يزيل هذا الشعور فخطا نحوها خطوة اخرى واقترب بيده منها ولكن خيل اليه كأنما الزهرة تنفث رائحة قتالة سامة لكى تقى نفسها من عبث العابثين . دار راسه وكاد يترنح ولكنه فى يأسه اقدم على محاولة اخيرة ، ولم يكد يمسها حتى شعر بيد قوية تمسكه من ذراعه وكانت يد الممرض

وقال الرجل «الا تعلم ان قطف الزهور ممنوع وكذا السير على الارض المزروعة ؟ عندنا كثيرون من المجانين فى هذا المكان فلو ان كل واحد منهم حاول ان يقطف زهرة لما بقى شىء منها فى الحديقة »

ورفع المريض بصره الى وجه الممرض واخلى نفسه من قبضته فى سكون ثم عاد من حيث اتى وهو يتمتم مخاطباً نفسه «ايها الحمق .. ما اتعسكم ! اتحسبون انكم تستطيعون حماية هذه الزهور ؟ ولكنى لن اوالى شيئا ... سانالها وابيدها مهما يكن من الامر . ليس اليوم ولكن غداً .. وستتصارع قوتانا . فاذا هلكت دونها فلن يضيرنى هذا فى شىء ...»

وقضى الرجل اليوم طوله وهو يروح فى الحديقة ويغدو ويتعارف على من يلقاهم من المرضى ويتحادث معهم اعجب الاحاديث ويجيبهم الى ما يسألون عنه اجابات غامضة بلغة غير مفهومة . وما انحدر اليوم الى نهايته حتى أدخل فى روع الرجل ان «كل شىء على تمام الاهبة والاستعداد» كما كان يكرر لنفسه على سبيل الاقناع والتأكيد . فما قريب ستسقط هذه القضبان الحديدية التى تحول بين المرضى وبين الحرية ، وسيمضى كل هؤلاء الناس الى حيث يشاءون فى مشارق الارض ومغاربها ، وستهتز الدنيا كلها وستنضو عنها هذا الثوب القديم البالى لتبدو فى حلة جديدة من الجمال الرائع . وكاد ينسى كل شىء عن الزهرة ولكنه حين غادر الحديقة واخذ يصعد الدرج ذكر هاتين الزهرتين القرمزتين النابتتين وسط الحشائش والاعشاب فانفصل عن الجمع وتنحى جانبا فى انتظار اللحظة

المناسبة . ولم ير أحد كيف قفز الى الحديقة ولا كيف عدا مسرعا الى الشجرة ولا كيف اقتطف الزهرة واخفاها تحت صدريته . ولكن ما ان مست الزهرة النضرة الرطبة بالندى جسمه حتى عراه شحوب الموت واتسعت حدقتاه من الفزع والرعب وتساقط العرق البارد من جبينه فى قطرات متلاحقه .

كانت المصابيح مضاءة فى المستشفى وكان اغلب المرضى راقدين فى فراشهم فى انتظار طعام العشاء ، والقليلون منهم كانوا فى حالة من القلق وقصور الصبر بحيث أخذوا يقتلون الوقت سيرا فى الدهليز وخلال الحجرات . وكان المريض الجديد واحداً من هؤلاء ، كان يسير وهو مشبك يديه على صدره فى حركات تشنجية كأنما يريد أن يسحق الزهرة اينتزع الحياة منها ، وكان اذا حاول أحد المرضى الاقتراب منه ينأى عنه خشية أن يمس طرف ثوبه وهو يصيح « اليك عنى .. لاتقربنى .. اليك عنى » ولكن المرضى فى المستشفى لم يكونوا يأبهون لهذهالعبارات فاضطر أن يسرع فى خطواته . وقطع فى السير على هذا النحو ساعتين كاملتين

وكان يقول فى لهجةحاقدة « سأقتلكم .. سأخنقكم جميعا »

ثم يعض على تواجذه بين الحين والحين .

وأحضر الطعام الى غرفة المائدة ، وكان مؤلفاً من عصيدة موضوعة فى « أطشات » خشبية كبيرة على الموائد الطويلة العارية . وجلس المرضى صفوفاً متقابلة وفى يد كل منهم قطعة من الخبز الاسود ، وكان كل ثمانية منهم يشتركون فى «طشت» واحد ويتناولون الطعام منه بملاعق خشبية والقليلون الذين كان يرخص لهم بطعام خاص كانوا يجلسون بمعزل عن بقية زملائهم . وقد التهم المريض الطعام الذى أحضره الممرض الى غرفته بسرعة ولكنه لم يشبعه فذهب الى قاعة المائدة وقال للمشرف على النظام « دعنى آكل هنا ؟»

فسأله الرجل وهو يناوله جانبا من الطعام «ألم تتناول عشاءك بعد»

فأجابه المريض «بلى ، ولكنى أحس بجوع شديد اليوم وأنا فى حاجة الى الاحتفاظ بكامل قواى ، فان كل شىء يتوقف على الطعام الذى أتناوله ، وأنت تعلم اننى لا أنام قط »

فقال الرجل « كل ياصديق وتقو .. اعطه ملعقة وقطعة من الخبز ياتارساس »

وجلس المريض امام أحد «الاطشات» والتهم قدراً آخر من العصيدة

وقال المشرف فى النهاية « حسبك ما أكلت ياصديقى .. انه فوق الكفاية .. وستتخم لو أكلت اكثر من هذا »

وقال المريض وهو ينهض من المائدة ويصافح المشرف «آه لو علمت مقدار القوة التى أحتاجها لو علمت ممقدارها ! أسعدت مساء يانيكولا نيكولايتس .. أسعدت مساء »

فسأله المشرف وهو يبتسم « الى أين أنت ذاهب الآن ؟ »

«أنا ؟ الى غير مكان .. أنا مقيم هنا .. ولكن غداً .. غداً يجوز الا يرى أحدنا الآخر .. شكراً جزيلا على ما أبديته نحوى من العطف والرعاية »

ثم صافحه مرة أخرى وصوته يتهدج وعيناه تسيل منهما العبرات

فقال المشرف « هدىء من روعك ياصديقى .. هدىء من روعك . ما فائدة هذه الافكار المقبضة السوداء ؟ هيا إلى فراشك وانعم بنوم هادىء عميق فانت فى أشد الحاجة اليه .. لو ان نومك كان عميقا لتحسنت حالتك كثيرا »

فتنهد المريض، وسار المشرف لبرى أن المرضى قد فرغوا من ازالة ما تبقى من مخلفات العشاء وبعد نصف ساعة كان كل من بالمستشفى يغط فى سبات عميق ماعدا رجلا واحدا كان يجلس بثيابه على الفراش وجسده يهتز كأنه محموم ويداه تشتبكان بعنف فوق صدره

لم ينم لحظة واحدة طول الليل . لقد اقتطف ثلث الزهرة لأنه رأى فى هذا العمل مهمة جليلة لابد أن يؤديها . وحين رآها لأول مرة من خلال الباب الزجاجى استلفتت بتلاُلؤها القرمزية نظره وشعر على التو أنه — دون جميع الناس — الوحيد الذى يستطيع القيام بهذه المهمة . كان كل شر الدنيا مركزاً فى هذه الزهرة المشرقة الحمراء ، وكان يعلم ان الافيون يستخرج من أشجار الخشخاش فامل هذا الخاطر — الذى بالغ عقل المريض فى تصويره حتى أوصله الى هذه النهاية — هو الذى جعله يهذى بخلق هذه الفكرة التى تأصلت فى نفسه وأخذت تلح عليه الحاحا منكرا . كانت هذه الزهرة فى نظره تجمع كل شرور العالم ، وكان لونها الاحمر يمثل له كل الدم المهراق والدمع المسفوك والحقد الذى يملأ الجنس البشرى .

كانت كائناً خفياً مفزعاً ، وكانت كائناً تخادع الله وهي تقف ازاءه في هذه الصورة من التواضع والبراءة . ومن ثم ملأه اليقين بان اقتطافها وابادتها يجب ان يكون جزءاً من المهمة الموكولة اليه . ثم يجب ايضاً ان يمنعها من اشاعة سمومها في العالم ولا سبيل الى ذلك الا باخفائها في صدره ، ولعله كان يأمل الا يشرق الصباح حتى تكون قد فقدت قدرتها على الشر اذ يكون شرها قد سرى الى جسمه وروحه . وهنالك يتصارعان ، فاما غلبه واما انغلب على امره . وليمت حينئذ ولكنه يموت كما يموت المحارب الشريف الذي يضحي بنفسه من اجل الانسانية . وحسبه فخراً ان يكون الوحيد الذي اجترأ على مكافحة كل شرور الدنيا بمفرده

واخذ يتمتم لنفسه «انهم لايستطيعون ان يروا هذا .. ولكنني اراه ... أكان خيراً لي ان ادعها تحيا ؟ كلا .. اني افضل الموت على هذا »

وظل حيث هو في هذيانه وكفاحه الخيالي .

وفي الصباح الفاه الطبيب المساعد لايكاد يقوى على التنفس ، ولكن بعد قليل غلبه الهياج فقفز من الفراش واخذ يتجول في المستشفى وهو يحادث المرضى بصوت متقطع ومرتفع على خلاف عادته . ولم يسمح له بالنزول الى الحديقة ، ولما رأى الطبيب ان وزنه يطرد في النقصان ونومه يكاد ينعدم وحركته لاتكاد تنقطع امر بان يعطى حقنه من المورفين .

لم يقاوم المريض لان افكاره المريضة كانت لحسن الحظ متفقة مع هذا العمل وسرعان ماهبطت حركاته الثائرة واستغرق في سبات ونسي كل شيء حتى الزهرة الثانية التي عزم على اقتطافها أيضاً .

ولكنه اقتطفها بعد ثلاثة أيام ! ولم يبال ان ينتهره الممرض محاولا منعه . وحين اقتطفها صاح صيحة النصر واخذ يعدو الى المستشفى مقتحما غرفته وهو يخفيها في صدره

وسأله الممرض وهو يجري وراءه « لم تقطف هذه الزهور ؟ »

ولكن المريض لم يجبه بكلام مفهوم ، بل جلس جلسته المعتادة فوق الفراش وضم ذراعيه الى صدره واخذ يهذي بالهراء حتى يئس الممرض منه فتركه وذهب الى حال سبيله .

وبدأ هذا النضال الشيطاني مرة اخرى فاخذ المريض يشعر بان الشرور المجتمعة من الزهرة

تسرى الى جسمه كالثعابين وانها تحوطه وتضغط عليه وتكاد تسحقه وهى تنفث سمومها القاتلة فيه. واخذت الدموع تتساقط من عينيه وهو يتضرع الى الله ويخلط تضرعه باللعنات. ولما اقبل المساء كانت الزهرة قد ذبلت فالقاها ارضاً ووطأها بقدميه ثم جمع ماتبقى منها وتوجه الى غرفة الحمام ورماها فى الموقد واخذ يراقبها بشغف وهى تحترق حتى لم يبق منها فى النهاية غير كومة صغيرة من الرماد الابيض. ثم نفخ فيها فطارت ولم يتبق منها شىء على الاطلاق.

وفى اليوم التالى كانت حالته سيئة جدا، وكان لونه بالغ الشحوب وشدقاه اجوفان وعيناه غائرتان، ولكنه مع ذلك لم ينقطع عن التجوال فى انحاء المستشفى. وفقدت خطواته اتزانها واصبحت مضطربة وسال العرق على جسده ومضى يتكلم ويتكلم بغير انقطاع.

وقال الطبيب العجوز لمساعده «لا اريد ان التجىء الى القوة»

فاجاب المساعد «ولكننا ينبغى ان نوقف هذه الحركة المستمرة. انه يزن الان ثلاثه وتسعين رطلا فاذا اطرد النقص فى وزنه على هذا القياس فانه يموت بعد يومين»

وسبح الطبيب العجوز فى التفكير قليلا ثم قال كانما يخاطب نفسه «المورفين اوالكلورال»

فاجابه المساعد «لم يكن للمورفين اى أثر بالامس»

فقال الرئيس «اذن اعطهم التعليمات لكى يربطوه، ومع ذلك فانى اشك كثيرا فى احتمال شفائه»

وربط المريض الى القضبان الحديدية فى سريره باحكام ولكن حركاته المجنونة على الرغم من هذا زادت ولم تنقص. وقضى ساعات طويلة وهو يحاول ان يفك وثاقه ولكن دون جدوى. غير انه استطاع فى النهاية بحركة قوية أن يقطع القيود ويخلى ساقيه. ثم أخلى بقية القيود التى كانت تربط جسمه ماعدا ذراعيه. وأخذ يسير فى الغرفة وهو يصيح بصوت عال ويرطن بكلمات غير مفهومة.

وجاءه احد الممرضين وهو يقول «ماذا بك؟ لابد أن الشيطان هو الذى اعانك على الانطلاق. جريشكا.. ايفان.. الى.. الى.. لقد فك المجنون وثاقه»

وهنا بدأ نضال طويل أنهك الممرضين وآلم المريض الذى استهلك فيه آخر ماتبقى من قواه. وفى

النهاية تغلبوا عليه وارقدوه على الفراش بعد ان احكموا وثاقه مرة أخرى .

وصاح المريض بهم وهو لايكاد يقوى على التنفس . «أنكم لاتدرون ماذا تفعلون ستهلكون جميعا أيها الحمق .. لقد رأيت زهرة ثالثة لم تتفتح بعد ولكنها ستتفتح عما قليل .. دعونى أنهى مهمتى .. يجب أن اقتلها .. أقتلها .. وبعدئذ أكون قد قمت بواجبي وانقذت العالم . لقد كان فى مقدورى أن أكل اليكم القيام بهذه المهمة لو كنتم تستطيعون .. ولكنى الوحيد الذى أستطيع ذلك .. ستموتون جميعا اذا مستها أيديكم . »

قال كبير الممرضين الذى وكل اليه أمر العناية به وهو واقف الى جانب فراشه . هدئ من روعك ياسيدى .. هدئ من روعك .

فسكت المريض فجأة ولعله اعتزم ان يخادع ممرضه . وظل موثقاً طول اليوم واثناء الليل . وبعد أن تناول عشاءه جاء الممرض بمرتبة . وبسطها على الأرض واستلقى عليها ، وبعد لحظة كان يغط فى سبات عميق فبدأ المريض يعمل .

لوى جسمه كله حتى استطاع ان يصل الى قضبان السرير الحديدية ، ثم أخذ يحك القيد المربوط الى معصمه فى الحديد حتى بلى . وبخفة لايستطيعها العقلاء أخذ يعمل فى فك العقدة التى اوثقت ظهره فلما فرغ من ذلك جلس يستريح قليلا وهو يصغى الى غطيط الممرض النائم بجواره . ثم خلع عنه سترة القيد واخلى نفسه من الفراش .

واتجه نحو الباب فوجده مغلقاً من الداخل ومفتاحه بغير شك فى جيب الممرض ، فاعتزم ان يخرج من النافذة خشية ان يوقظ الرجل وهو يبحث عن المفتاح فى جيبه .

كانت ليلة هادئة مظلمة حارة وكانت النافذة مفتوحة والنجوم تلمع فى ظلمة السماء من بعيد فاخذ ينظر اليها كمن يعرفها تمام المعرفة ، وسرت فى جسده موجة من الفرح والطمأنينة لأنه حسبها تفهمه وترعاه وتعطف عليه . واغمض عينيه قليلا فرأى عددا لايحصى من الاشعة تخرج منها وتتجه اليه فازداد عزمه الجنونى قوة والحاحاً وهانت فى نظره المغامرة التى كان وشيك الاقدام عليها . وكان عليه فى سبيل تحقيقها ان يكسر القضبان الحديدية السميكة وان يعتصر نفسه من خلال الفرجة الضيقة التى سيحدثها حتى ينزل الى الطريق الضيق المليء بالاعشاب والحشائش ، ثم كان عليه بعد ذلك ان يتسلق الجدار العالى وينزل الى الحديقة حيث ينتظره النضال الاكبر والاخير ؛ وبعدئذ

لن يعنيه من الوجود شيء قط .. ولن يضيره حتى الموت .

حاول ان يثني القضبان الحديدية بيديه العاريتين ولكن هيهات . فاخذ اكمام السترة ورماها وجعل منها حبلا ربطه في احد القضبان وتعلق به . وبعد محاولات يائسة استغرقت ما تبقى لديه من الجهد والقوة انثنى القضيب وبدت في النافذة فرجة ضيقة ، فدفع نفسه اليها وجاهد جهادا عنيفا حتى استطاع ان ينفذ من خلالها . وفي النهاية الفى نفسه واقفا وسط الاعشاب والحشائش في جوار الجدار العالي .

كان كل شيء في تلك اللحظة هادئا ساكنا ، كانت الانوار الموجودة في الغرف ترسل ضوءا باهتا هزيلا من خلال نوافذ البناء الكبيرة ، ولم يكن هناك من يرقبه أو يراه ، وكانت النجوم تهتز عطفاً عليه وترسل اشعتها نافذة الى قلبه مباشرة .

ونظر الى السماء وقال يخاطبها هامسا « سأجيء اليك عما قليل »

وكان الدم يتدفق من الجروح المتعددة التي تناثرت في أصابعه ويديه وساقيه ولكنه لم يأبه لها . وبدأ يبحث عن طريقة يتسلق بها الجدار . ورأى في أحد المواضع بضع لبنات قد تساقطت من بنائه فاستعان بها على تسلقه . ولما وصل الى قمته ألقى بنفسه على أحد الفروع المتدلية من أشجار الدردار فهبط به حتى أوصله الى الارض .

وما مست قدماه الارض حتى أخذ يعدو الى المكان المعهود ، وهناك الفى الزهرة رافعة رأسها كأنها تعجب بنفسها من خلال الحشائش المحيطة بها .

وهمس المريض يحدث نفسه قائلا « هذه هي الاخيرة .. نعم الاخيرة . واليوم إما النصر وإما الموت ، وسيان عندي أيهما التي » ثم نظر الى السماء وأردف يقول « مهلا .. فبعد قليل اكون معكم » واقتلع الزهرة ثم مزقها إربا وسحقها بين أصابعه .. ثم أسرع بالعودة من حيث جاء فوجد الممرض العجوز لايزال يغط في نومه . وما لمس جسمه الفراش حتى غاب عن وعيه وخر مغشيا عليه

وفي الصباح وجدوه قد قضى . كان في وجهه هدوء وكان ينبعث منه نور وضياء ، وكانت ترتسم على ملامحه الهزيلة وشفتيه النحيلتين وعينيه المطبقتين الغائرتين صورة ناطقة لسعادة الانتصار ولما وضعوه في الكفن حاولوا أن يفتحوا أصابعه لكي ينتزعوا منها الزهرة القرمزية ولكن اليد كانت صلبة ، فذهب الى القبر وهو يحمل معه آية الفوز والانتصار .

ترجمة الدكتور صبري جرجس

أقدم المصلحين الاجتماعيين

عن كتاب « فجر الضمير » للمصرلوجي الامريكي
برستيد ترجمة وتلخيص الآنسة ايريس حبيب المصري

ان قصة الفلاح الفصيح هي مثل قوى على شدة حاجة الحكام الى ملك عادل يؤيدهم على اقامة العدل ولو كانوا متشبعين بروحه اذا لم يجدوه . وقد وجد ضمن المفكرين الاجتماعيين فى ذلك الوقت رجال أدركوا هذه الحاجة الى سيد عادل . ومنهم حكماء تطلعوا بأبصارهم الى الأمام مؤملين قدوم مثل هذا الملك البار . وكان أيبوور من أولئك المتطلعين ومن رسل الاصلاح فى ذلك العصر العظيم وهو الذى كتب رسالة فى قالب مسرحي مؤثر لم تقتصر على توجيه الاتهامات اللاذعة العنيفة للمجتمع فحسب ، بل تضمنت كذلك نصائح وارشادات منها تكوين الجيل وتجديد المجتمع . كما انه جرؤ فيها على أن ينادى بقرب بزوغ عصر ذهبى يتطلع إليه ويرجو مجيئه . وهذه الرسالة هى أعجب ما وصل الينا من مجموعة الرسائل الادبية والاجتماعية من عصر الأقطاع . ويصح أن نسميها « وصايا أيبوور » ولسوء الحظ لم تصل الينا المقدمة التى تتضمن وصف الظروف الاجتماعية التى أحاطت بهذا الحكيم ودفعته الى التأمل لأنها ضاعت . ولكن فى الامكان استنتاج الحالة إجمالا . وتتلخص فيما يلى : أن الحكيم أيبوور يلقى كلمة توبيخ حاد مستفيض فى حضرة ملك مجهول لا يمكن أن نستبين شخصيته الآن ـ هو وجمع من أشرافه ورجال بلاطه ـ ويختتم كلمته بالنصح والارشاد . ويجيبه الملك بكلمة وجيزة يعود الحكيم بعدها الى الحديث ردا على إجابة الملك . ولكن حديثه فى المرة الثانية حديث قصير والرسالة غير مرتبة ترتيبا منطقيا ولو أن كاتبها عمل على أن ينظمها فى شطرات تبدأ جميعها بكلمات عينها .

بنظرة فاحصة يرمى الحكيم ببصره الى المجتمع المصرى فيجد أن حياته حياة فوضى واضطراب .

فالحكومة فى ركود « والقوانين فى قاعة الحكم مهملة ، والناس تطأها فى الاماكن العامة ، ويعتدى عليها الفقراء فى الشوارع . » وهذا الخلل الذى أصاب الحكومة مرجعه إلى ما فى البلاد من حرب وظلم « والرجل يضرب أخاه ابن أمه فما العمل ؟ » . «هو ذا القتل علنا — ويقتل الرجل الى جانب أخيه الذى يتركه ويهرب لينجو بنفسه».. «والمرء ينظر الى ابنه كعدو» : « والعامل يذهب ليحرث حقله وهو مرتد درعه ..»

والى هذه الحالة من الفوضى والاضطراب والثورة فى الداخل اضيفت أهوال الحرب فى الخارج ـ فمصر لكونها فريسة للفتن والقلاقل الاهليـة ولعجزها عن مقاومة الهجمات الاسيويـة على الحدود الشرقية أضاعت ممتلكاتها وتوقفت حركة العمل والحكم فيها . « هو ذا العمال جميعا لا ينتجون ، واعداء البلاد قد أفقروها ،هو ذا من حرث الأرض لا يدرى عن ثمرتها شيئاً ومن لم يحرث قد ملأ خزائنه .. هو ذا القطعان قد تركت تائهة ولا أحد يجمعها..»ولا يدفع أحد الضرائب بسبب الحرب الناشبة فى البلاد .. فما قيمة الخزانة بغير دخل ؟»

ولاضطراب الحالة الاقتصادية تتوقف التجارة الخارجية . «فـلا يسافر احـد الى الشمال الى بيبلوس * ولا ندرى كيف نحصل على خشب الارز لمومياتنا الذى هو الجزية التى تدفن مع الكهنة أو على الزيت الذى يدهن به الامراء لتحنيطهم ـ لان من يسافر لايعود » . ولا نتوقـع سوى هـذه النتائج لان السفر اصبح خطرا وانعدمت الحراسة فى الطرق العامة . « لانه وان كان يوجد رجال مكلفون حراسة الطرق الا ان قطاع الطرق يختبئون حتى يرخى الظلام سدوله فيهجمون على المسافرين ويغتصبون امتعتهم ويأخذون منهم كل مايحملون . ثم يضربونهم بقسوة حتى يقتلوهم » . . فحقا أن البلاد تدور كعجلة صانع الخزف وقد انقلب نظامها رأسا على عقب ـ فاصبح السارق سيدا مثريا وصودر الغنى» . وهكذا نرى من تشبيه الحالة بالعجلة أن الاضطراب عام وان النظم الاجتماعية قد تداعت اركانها وشلت حركاتها . ويصف الحكيم هول الحالة فى أحد أجزاء رسالته بمقابلة الاحوال الحاضرة بما كانت عليه فى الزمن السابق .

---

* اكبر موانى فينيقية اذ ذاك

واضطراب العام يجر فى اثره الانحطاط الادبى ولو أنه ليس بالسبب الاساسى للبؤس الشامل .

« يمشى رجل الفضيلة فى حزن وغم بسبب ماحدث فى البلاد» فيقول البعض « لو اننى كنت اعرف اين يوجد الله لكنت أقدم له التقدمات » حقا ان إلها موجود فى البلد بالاسم فحسب ولا يعمل الناس باسمه الا الشر . فليس بعجيب اذن ان يسود اليأس . «فحقا ان المرح قد تلاشى من البلاد ولا يسمع الا التأوه ممتزجا بالندب والعويل . والكبير والصغير يقول كلاهما « ليتنى اموت » والاطفال يقولون « ليت لم يوجد من يعولنا » .. «حقا ان القطعان تتمزق قلوبهم اسى وتتأوه لحالة البلاد » والحكيم لايستطيع ان يواجه هذه الحالة بغير حزن وانفعال – فهو أيضا متأثر كل التأثير لكل مايحيط به من فوضى واختلال وهو يصلى الى الله مبتهلا اليه ان يمحو الوجود فيصرخ : «ليت البشر يفنون » ليت لم يوجد حمل ولا ولادة . ليت الجلبة والضوضاء تنتهيان ولا يبقى فى البلد قتال » ثم يؤنب حتى نفسه لانه لم يحاول أن يتفادى هذا الموقف من قبل فيقول : « ليتنى رفعت صوتى من قبل فكنت خلصت نفسى مما اعانيه الآن من الألم .. واويلاه لما تقاسيه البلاد الآن من شقاء »

تلك هى الصورة القاتمة المظلمة التى يصورها لنا الحكيم المصرى . وهذا التوبيخ اللاذع يشغل تلك الرسالة التى وصلت الى ايدينا ، ويمكننا ان نتخذ وصفه كصورة رائعة لعصر معين . والتشابه الشديد فى اللغة والتفكير والاسلوب ووجهة النظر بين رسالة ايبوور هذه وغيرها من الرسائل الاجتماعية المعروفة لنا بانها من العصر الاقطاعى لاتدع مجالا للشك فى تاريخ هذه الرسالة . ومن الواضح أن حالة مصر المؤلمة التى يصفها الحكيم هى الحالة التى تلت سقوط الدولة القديمة عند نهاية عصر الاهرام وانحلال الوحدة الثانية والتى سادت فيها الفوضى والاختلال التام فى الحكم واقترنت بالفشل فى القتال مع الاجانب .

ومن الطبيعى ان حدة ما يشعر به الحكيم من الحزن والألم تحمله على عدم الرضى بالسكوت وتدفعه الى ان يجاهد لكى لايدع جيله فى يأس وفوضى . واخيرا يلمح بصيصا من الأمل . فيبدو لنا خلال قطع الملف التى بلى بعضها بفعل الزمن وتمزق البعض الاخر اهم جزء فى الرسالة كلها . وهو بغير شك من اهم ما وصل الينا من مجموعة الادب المصرى القديم

وفى هذا الجزء العجيب يمتد الحكيم ببصره الى الامام وكله أمل فى اعادة البرالى نصابه كنتيجة

طبيعية لنصائحه ولندائه بالاصلاح الذى وضعه كدين فى اعناق مواطنيه . فهو يرجو ان يرى فى مصر عاكا امثل طالما تاق الى مجيئه . وهو لا يرى مجيئه مجرد أمل لايتحقق فقد سبق لمصر ان تولى امورها مثل هذا الملك حين حكمها الاله الشمس رع (قبل عصور التاريخ) ، وحين يذكر الحكيم ملكه الالهى فى ذلك العصر الذهبى يقابله بشر الحكم الذى يرزح البلاد تحت نيره . «انه ـ اى الاله الشمس الذى يرجو ان يجىء الفرعون المنتظر صورة منه ـ برد وسلام للنار ـ (اى للفساد الاجتماعى الذى يشكو منه) ويقال انه راع لبنى البشر . ولا يوجد شر فى قلبه . ومتى كن قطيعه قليل العدد فانه يقضى نهاره فى جمع شمل خرافه حين تكون قلوبهم محمومة * ليته ادرك ماستؤول اليه شخصيات البشر من العصر الاول اذن لكان قد اباد الشر ، اذن لرفع عليه يده ، اذن لكان قد ضرب سلالة الشر وميراثه .. اين هو اليوم ؟ ألعله نائم ؟ هوذا قوته لاترى ..»

هنا صورة للحاكم الأمثل ، الملك العدل الذى «لايوجد شر فى قلبه والذى يتفقد شعبه كراع ويجمع قطيعه العطشان الذى تضاءل عدده . وعنصر الأمل فى قرب مجىء الملك البار واضح من غير شك فى الكلمات الاخيرة «اين هو اليوم ؟ ألعله نائم ؟ هوذا قوته لاترى » ومتى قرأ الانسان هذه الكلمة الاخيرة اضاف اليها تلقائيا كلمة «بعد» . والاهمية الخاصة لهذه الصورة هى ان المثل العليا للمجتمع التى كن يحلم بها المفكرون فى ذلك العهد العهيد كانت منذاك تتضمن الحاجة الى الحاكم الامثل ذى الشخصية النزيهة والمقاصد الخيرة الذى يعزرعيته ويحميها ويسحق الاشرار . وسواء أحدد هذا الحكيم نبوءته عن الملك الامثل ام لم يحددها فان الرؤيا التى يحلم بها عن شخصيته وعمله يرسمها امام ناظرى الملك العائش وامام رجاله المحيطين به لعلهم يستطيعون ان يدركوا بعضا من عظمته وبهائه

ولان هذا الحكيم المفكر يحس احساسا شديدا بما بين الحكمين حكم الملك الاسمى وحكم الفرعون العائش من فرق هائل فان هذه المقارنة تدفع به الى توجيه اقسى الاتهامات الى الحكم القائم القائم واعنفها . وكناتان بكلماته القارصة لداود حين اشار اليه قائلا «انت هو الرجل؟» يلقى الحكيم المسئولية فيما تعانيه البلاد من بؤس وفوضى واضطراب على عاتق الملك فيقول له : الحكم الملكى والعلم والبر معك ولكنك تقيم الخصام والشقاق فى البلاد مع صوت الجلبة والضوضاء . . لقد عملت

* ربما كان المقصود من هذه الكلمة أنهم عطشى أو أنها كناية عن الالم الذى يعانونه

كل ما يسبب هذه الاشياء . لقد تكلمت بالشر » وحين ينتهى الحكيم من حديثه الطويل يرد عليه الملك ولكننا لم نقف على ماهية هذا الرد بسبب تمزق الملف وتلفه .

وانتهى الحكيم من تأنيبه باشارة لاذعة عنيفة الى شخصية فرعون التقليدية الموهوبة « الحكم الملكى والعلم ومآت » ذلك الحكم النظامى الادبى القديم الذى ثبت دعائمه ملوك الوحدة الثانية مدى الف من السنين والذى تداعى الآن وحلت الفوضى محله . فمن الواضح اذن ان حالة الاضطراب وسوء النظام التى يصفها ايبوور هى تلك التى حلت بالبلاد فى الفترة التى تلت سقوط الدولة القديمة وليس لدينا للآن من وسائل العلم مايمكننا من أن نعرف شيئا عن ملوك هم اكليوبوليس المدهشين الذين انتج عصرهم مثل هذه الرسائل الادبية المثلى أو ان نحدد مقدار مسئوليتهم عن انهيار الدولة ترى هل كانوا رجال أحلام ومثل عليا الى درجة بعيدة بحيث جعلت آمالهم للمجتمع سببا فى الضعف السياسى ؟ فقد لاحظنا أنه فى وسط الفوضى القومية المصورة لنا بلا تحفظ استمر الرسول ايبوور متمسكا ببعض الأمل فى انقاذ بعض الحطام الباقية من تحت الانقاض . ترى هل كان أمله هذا صادرا عن تفكيره فى أمير معين ممن بقوا من الاسر الملكية القديمة ؟ واذا رجعنا الى ما كتبه حكيم آخر من حكماء ذلك العصر ذاته نجد ان آماله هو الآخر منعقدة على زعيم « لانرى قوته » حين يتساءل بشغف « أين هو اليوم ؟ ألعله نائم » وذلك الحكيم الآخر كذلك رسول من الرسل الاجتماعيين فى ذلك العصر البعيد . وهو لايشك البتة فيمن سيكون هذا الملك الذى يتوق الى مقدمه ويعلن وكيف أنه سيفتتح عهداً جديدا ولا يتراجع عن ذكر اسمه .

وفى ملف كشفه جولنيشف موجود الآن بمتحف لنينجراد نقرأ تنبؤات كاهن متضلع اسمه نفرر وهو يؤكد انها قيلت فى حضرة الملك سنفرو أى قبل العصر الذى نصفه بنحو الف سنة . بيد أنه ليس من شك فى أن هذا التوكيد انما هو قالب خيالى أريد به التكبير من شأن هذه التنبؤات . ولحسن الحظ أن كاتبا من عصر الامبراطورية فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد عثر على تنبؤات نفرر وهو وشاقته محتوياتها فعمل على نسخها . ولكن كان ينقصه الورق فاستعمل فى نسخها بعض الورق الذى كان مستعملا للحسابات وخطها على ظهره . وفى هذه الحالة وبأغلاط وسهو كثيرين وصلت الينا تنبؤات نفرر هو .

وبعدهذه المقدمة فيا يتعلق بوثيقة نفرروهو وتاريخها نقول ان كاتبها يصور فيها ما يجده حوله من الخراب والفوضى . وهو مثل كيكبر سونت يناجى قلبه : اصغ ياقلبي وابك هذا الوطن الذى انجبك .. لقد خربت هذه البلاد ولا يوجد من يهتم بها ، فلا أحد يتكلم ولا أحد يذرف دمعة واحدة كيف حال هذه البلاد ؟ لقد حجبت الشمس سحابة فلم تعد تشرق حتى يبصر الناس . ولان أعمال الرى العظيمة قد تعطلت . فنهر مصر قد جف . ويستطيع المرء عبوره مشيـــا على الاقدام . وحين يلتمس المرء ماء كى يسير مراكبه ليسافر بها فطريقه يصير برا والبر يصير بحرا . لقد زال كل خير

«واصبحت ملقاة فى البؤس بسبب مايستولى عليه البدو من الغذاء لانهم هاجمـوها . ونهض الاعداء فى مصر وهبط الاسيويون الى مصر .. ساريك البلاد وقد هوجمت وفى شدة الألم . ومالم يكن فى الحسبان قد حدث .» «يجلس المرء فى زاوية مديرا ظهره حين يقتل غيره .»

«ساريك الابن كعدو والاخ كخصم والمرء قاتل ابيه . كل فرد مشغول بنفسه وكل فم يصرخ (احبنى) وانتهى كل خير . البلد تحتضر .. وأموال المرء تؤخذ منه وتعطى للغريب .

«ساريك المثرى فى احتياج والغريب فى رغد .. البلد تزداد فقرا بينما زعماؤها يغتنون .. وقد شح القمح بينما يزنه جابى الضرائب بكيل مهزوز فاحش»

«ساريك البلد وقد اجتــاحها العدو وهى تتألم .. وتكون هليوبوليس بعد المولد لكل اله»

ثم بغير تردد او تشكك يدير نفرروهو ظهره لهذه الصورة القاتمة التى صورها لمصر وهى خربة متألمة مهاجمة وبكلمات مدهشة يعلن مجىء الملك الذى سيخلصها

«هناك ملك من الجنوب سيأتى واسمه امنى . وهو ابن امرأة من النوبة مولود فى الصعيد . سيأخذ التاج الابيض وسيحمل التاج الاحمر موحد التاجين المزدوجين ، وســيهدىء البلدين عما يبغيان ... »

«وستفرح قلوب اهل عصره ، وسيخلد ابن الانسان اسمه الى ابد الآباد . اولئك الذين تآمروا بالشر وابتدعوا الثورة سيسدون افواههم خوفا منه . وسيسقط الاسيويون بسيفه ويصطلى الليبيون بناره . وسيخضع الثائرون لاشارته ويرضى المتمردون بسلطانه . اما الثعبان الرمزى الملكى الذى يلبسه على جبينه فسيخضع اعداءه له »

« وسيبنون سور الملك حتى ان الاسيويين لايستطيعون الهبوط الى مصر . فيخطبون ودها ويستعطونها الماء كما اعتادوا ان يفعلوا قديما لعلهم يسقون قطعانهم . »

« سيعود البر (مآت) الى نصابه ، وسيطرد الشر والظلم خارجا . فليفرح ذلك الذى سيرى هذا اليوم البهيج وذاك الذى سيخدم الملك »

هنا نجد توقع مجيء الملك المخلص بلا تردد . ومجيئه هو ما كان يأمله ايبور . بيد ان نفررو هو نعتيه بالاسم ويدعوه امنى . وامنى او شكل الاسم الذى يستعمله نفررو هو فى تصغير للاسم الكامل الذى هو امينمحت . وهو فى الواقع ذلك الملك العظيم الذى أسس الاسرة الثانية عشرة واعاد الملك الى مصر وثبت قواعد عرشها من جديد حوالى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد . والذى كتب عنه بعد عصره باجيال تلك الكلمة العجيبة وهى انه « طرد الشر خارجا . - لانه شغف الى حد بعيد بالبر (مآت) . » والحكيم نفررو هو متيقن تماما بان بطله سيحمل التاجين : اكليلى مصر المزدوجين اللذين يرمزان الى مصر العليا ومصر السفلى . ويحملهما نمى وحدة الوجهين القبلى والبحرى فيكون ملكه فاتحة عصر جديد للوحدة . وهو يؤمن بان هذه الوحدة لابد آتية ولو ان حدوثها لن يتم الافى المستقبل . وهنا يعن لنا سؤال شيق . ترى هل كانت نبوءته الجريئة المؤكدة مجرد سرد لوقائع حدثت يرويها بعد ان تمت ام انها كانت نبوءة صحيحة عما ستلقاه مصر من الفوز فى النهاية حين تتحد وتستعيد سلطانها ؟ ترى هل كان نفررو هو رسولا بعث به امينمحت الى الشمال ليعلن للجميع قرب مجيئه ؟ او هل كان واحدا من انصار امينمحت شاء ان يعلن قيمة العصر الجديد ويكبره فى اعين الاجيال الآتية بان يقارن بين عهده وبين ماسبقه من عهود الاضطراب والفوضى والتفكك ؟ انه من المحال ان نجيب على هذه الاسئلة اجابة قاطعة ولكن اغلب الظن ان نفررو هو عاش فعلا فى عصر من الضعف والانحطاط صوره لنا بطريقة رائعة وان انتصارات امينمحت وتقدمه فى الجنوب جعلت من الواضح للمفكرين بانه سينجح فى توحيد مصر وفى اعادة مجدها القديم وما كان يصحب هذه الوحدة من عظمة ونظام راسخ . ونندهش فى بادىء الامر اذ نرى نفررو هو يذكر اسم الفرعون المنتظر ويعلن فى غير مداراة ولا مواربة انه ليس من سلالة البيت القديم . اذ ليس من شك فى ان المدعين بحق العرش كانوا كثيرين الى درجة ان ظهور مدع جديد ما كان ليلفت النظر بالمرة . ولكن الحكيم

يبرز هذا المدعى الجديد ملقبا اياه باللقب الغريب الذى يصفه به — وهو كلمة «ابن الانسان .» وهذا اللقب الغريب يلفت النظر ويثير الشوق فى استطلاع السبب لهذه التسمية العجيبة . فنرى ان هذه التسمية مستعملة فى «نصائح موجهة الى موريكرى» كناية عن ابن رجل عظيم القدر وانها كانت شائعة فى بابل بنفس المعنى.

وهذا الرسول الحكيم فى استبشاره بقدوم الملك الجديد يعلن تحقيق امرين على اعظم قدر من الأهمية للشعب المصرى من هجمات قد تحدث فى المستقبل ببناء الحصون والاسوار ، والثانى هو اعادة النظام والامن الى البلد . و «سور الملك» هو حصن قديم على الحدود الشرقية للدلتا كان بنى لصد هجمات الاسيويين ولحراسة الطريق من مصر الى آسيا فى عهد بناة الاهرام . فنفرو هو يعلن بان الملك الجديد سيعيد بناء هذا الحصن كما كان . والتنبوء باعادة النظام والامن للبلد معلن بكلمة مدهشة موجزة هى : « سيعود البر الى نصابه وسيطرح الشر خارجا . » فهى « ماآت » القديمة التى سينصرها الفرعون الجديد ويعيدها الى عهدها القديم على اساس انها هى النظام الثابت الذى أقام دعائمه الفراعنة الاقدمون والتى كانت القوة المحركة للحياة الاجتماعية فى مصر . (ماآت) ذلك النظام القديم الذى ظل الفراعنة مدى الف من السنين يسيرون على ضوئه ويسترشدون بهديه ويتخذونه اساسا للحكم سينتصر ثانية وتعود اليه سلطته . وليس من شك فى ان روح البشر التى تتجلى فى اعلان العهد الجديد والتبشير به انما تعبر عن فرح الحكيم لانه يتوقع عودة المثل العليا والسلوك الادبى القيم وما كان يلازمهما عند القدماء من تفاؤل وغبطة .

تلك صورة من الأمل والاستبشار لم تتحق مع الاسف كما تخيلها نفرو هو . ولقد كان امينمحت فعلا من اعظم الحكام الذين تبوأوا عرش مصر وانبلهم — أوتى الحكمة وبعد النظر واتصف بالحزم وكل الصفات مما يحتاج اليه الحاكم المصلح وليس من شك فى انه ثبت دعائم (البر) واعاد النظام والامن للبلاد بقدر ماكان فى استطاعته . ولكنه كان مضطرا لان يستعمل فى سبيل هذا العمل رجالا وعمالا ممن نشأوا بطبيعة الحال فى عصر الفوضى وسوء النظام . فطبعهم العهد السابق بطابعه ووسمهم بصورته ونهجه ولم يكن فى ميسور اولئك الرجال ان يتخلصوا تماما من روح العبث بالقانون ومن ذلك الانحطاط الذى انحدر اليه المصريون مدة اجيال نتيجة لاختلال

الحكم والفوضى اللذين كافح امينمحت لاتقاذم منها . وان الرسائل العدة التي وصلتنا من عصور التفكك مثل « نجوى متشائم مع روحه » ورسالة كيكبرسونب وكاهن هليوبوليس وايبوور قد اطلعتنا على عمق الدرك الذي نزل اليه المجتمع — دركا تلاشت معه حكمه بتاحوتب المتفائلة الآمنة وتحطمت على صخرته جهود الاصلاح كما ادرك امينمحت كل الادراك .

وبعد ملك طويل ناجح دام جيلا كاملا لم يزدد الملك الا امعانا في سوء الظن بالناس . فقد دبرت ضده مؤامرة دنيئة لاغتياله . وحين بدأ يشعر بعبء السنين واحس بالشخوخة تدب الى جسده وجه كلمة الى ابنه الذي كان اول من حمل ذلك الاسم المجيد : اسم سيزوستريس . وكانت كلمته لابنه كلمة موجزة الغرض منها الارشاد كما فعل والد مريكرى من قبل ولكن شتان مابين الروح التي تسود الكلمتين .

قال وقد ادرك البر والعدل
لابنه . . . .
اصغ الى ما سأقوله لك
لتصير ملكا على البلاد
ولتصبح حاكما على الشواطىء
ولتزيد الخير .
اقس بقلبك على كل الاتباع
ولا تقربهم بمفردك
لاتملأ قلبك بمحبة شقيق
ولا تعرف لنفسك صديقاً
ولا أنصارا
ليس في معرفتهم فائدة أو غرضا
وحين تنام احم قلبك بنفسك
لان ليس للرجل نصير

فى يوم السوء .

لقد أعطيت السائل واطعمت اليتيم

واستمعت لشكوى الحقير كالشكوى الرجل العظيم

ولكن الذى أكل طعامى ثار على

والذى مددت نحوه يدى اثار مخاوفى

هذه صورة من التشاؤم وسوء الظن تليها قصة المؤامرة على حياته — تلك التى كانت هى السبب لما شعر به الملك الشيخ من الخيبة والمرارة .

هذه النظرة القاتمة الى المجتمع ومافيها من خيبة وألم عميق قد أحس بها الملك احساساً بعيداً الى درجة انها ألقت ظلالها على أعظم فنون ذلك العصر وهو فن النحت . فى التماثيل النبيلة التى لفراعنة الدولة الوسطى نجد تلك الظلال القاتمة التى كانوا ينظرون من خلالها الى حياة العصور التى عاشوا فيها . وحين نتأمل وجوههم المليئة بالاقدام والجرأة وقد غشيتها سحابة تكاد لاتخلو من الشك و يأس ندرك أن الفنانين قد استطاعوا أن يصوروا لنا بواسطة تلك التماثيل كل ما خالج أصحابها من الانفعالات وان يعبروا لنا بصورة رائعة عن مدى الألم والشعور بالخيبة اللذين سادا المجتمع فى ذلك العهد العهيد — فنلمس فى فنهم روح التشاؤم الممتزج بالاستبسال فى ذلك العصر الذى هو أقدم عصور التشكك والخيبة .

ايريس حبيب المصرى

منتخبات من تأملات

الامبراطور الفيلسوف مرقس اوريليوس

يجدر بمن ينهض من الفراش صباحا أن يناجى نفسه قائلا : اليوم سأصادف احمق ، او ناكر جميل ، أو سفيها ، أو ماكرا ، أو حسودا ، فاذا كانت هذه النقائص فى أولئك التعساء فان على أن أذكر انهم يجهلون الخير الحقيق والشر الحقيق . أما أنا الذى تعلمت أن الخير الحقيق مصحب الشرف ، وان الشر الحقيق فى ما هو مخجل ، فانه يكون لى من ذلك تأملان . حقا لا أحد من هؤلاء يمكنه أن يهينني إذ لا يستطيع واحد منهم أن ينتزع من نفسى شرفها . وثانياً لا يمكنني أن أغضب على أخ وأحقد عليه . فقد خلقنا كلانا لنتعاون فى عمل واحد كما هو والحال هذه عمل رجلينا فى جسمنا أو عمل يدينا أو عينينا . أما عمل الواحد بخلاف عمل الآخر فمعناه السير على خلاف ما تتطلبه الطبيعة .

كل شىء يتلاشى بلحظة . يزول الانسان من الدنيا ، وسرعان ما يزول ذكره بعده فى الأزمان المقبلة . كل الأشياء الحسية تزول ، واذا ما تصورناها بنور العقل نجدها تافهة ، حقيرة محتقرة فاسدة زائلة . من هم هؤلاء الرجال الذين يمجدهم الناس . وما هو الموت . اننا اذا تأملنا الموت وجردناه بالعقل من الأشباح الزائلة التى يضيفها الفكر ، نبين لنا أنه رتبة من الطبيعة .

ان نفس الانسان تفقد شرفها بطرق شتى . هذه أهمها أولا تفقده عندما تكون كدمل أو كالورم فى كيان العالم . ويكون هذا بالانسحاب أو بالحرى بالاعتزال عن الطبيعة العامة المالكة على الكائنات الخاصة بدلا من اعلان سخطها على ما يحدث . ثانياً تفقد شرفها لما تتخذ انسانا عدوا لها فهى تحتدم وتستعد لالحاق الضرر به كما يحدث أحيانا فى حالة الغضب . ثالثا تفقد شرفها عندما تتغلب عليها الشهوة أو الالم . رابعاً لما تتوخى الخداع وتقول الاكاذيب متدرعة بالرياء فى أعمالها ،

أو فى كلامها . خامساً تسير وتسعى دون غاية . فهى تائهة حيث لاغرض لها من أعمالها ، ولا متابعة عندها فى أفكارها بينا الاشياء حتى التافهة منها يجب أن يكون لها غاية .

لايوجد أثر للفساد أو الدنس أو أى خدش فى نفس المرء الذى أصلح سلوكه وطهر أعماله . وان رجلا كذلك لا يفاجئه القضاء أبدا قبل أن يكون قد أكمل حياته ، لانك لا تجد فيه شيئا تشم منه رائحة الدناءة والكبرياء والكراهية وعدم التناسب والفتنة الداخلية .

الغ الرأى الذى رتأيه لنفسك وبالوقت عينه تلغ أيضا تذمرك . تقول «جرحت» الغ هذه الكلمة «جرحت» يلغ جرحك فى الوقت والحال .

ان لم تركن الى حكمتك وعبادة العقل فى خلال عشرة أيام تظهر بمظهر الاله لاولئك الذين يسمونك اليوم قرداً .

اننا نربح وقتا طويلا لو لم نهتم بما قاله القريب وبما عمله وبما فكر به . بل لو اهتممنا بأمورنا الخاصة فقط تكون عادلة ومقدسة . يجب ان لا ننظر الى عادات الناس السيئة بل علينا أن نركض بخط مستقيم دون انحراف على غرار لاجل الخير .

ان الذى يبهره بهاء الصيت بعد وفاة أبيه ! ينسى ان أولئك الذين يتكلمون عنه يموتون هم أيضا بعد قليل . وان أولئك الذين يأتون بعدهم يموتون أيضا . وهكذا الى النهاية . حتى يأتى أخيرا دورنا نحن فننطوى بدورها .

ستموت قريبا وأنت غير حاصل على سذاجة النفس التى كان حتما واجبا عليك تحصيلها . انك تنزعج لاقل بادرة ! وتخش أيضا أن تجرحك الامور الخارجية . انك لغاية الآن لست وديعا ولا عطوفا تجاه باقى الرجال . واخيراً انك لاتوقف الحكمة الحقيقية على ممارسة العدل والتقوى .

لوقال لك اله . — ستموت غدا وان طال فبعد غد . فانت لا تعلق أهمية تذكر على ماهو غد و بعد غد . وما هى هذه المدة . اللهم ان لم تكن أجبن انسان .

كن كالصخرة تتلاطم بها الامواج بلا انقطاع وتظل ثابتة ! بينا الامواج تدور حولها غاضبة . لاتقل أنا تعس لانه حصل لى كذا من العوارض . بل قل بالعكس ما أسعدنى رغم ما يحدث لى لانه لا يجد الى سبيلا . فانا لست مجروحا من الحاضر أو خائفا من المستقبل

ان لم تكن لك قوة نفس كبيرة تستطيع أن تبعث أعجاب الجميع فهذا عارض طبيعي وان لك فضائل كثيرة لا تستطيع أن تحول عنها . — لم تحجبني اياها الطبيعة . فاذا قم بعمل ما يلقى على عاتقك من الواجبات المقدسة أحسن قيام . وكن صادقا وجادا ومجتهدا . ولا تسلم قيادة نفسك الى اللذات ولا تضجر مما كتب اليك . اكتف بالقليل وكن ذا إرادة حرة عارفا كيف تتجنب كل ما هو كالى قنوعا فى الكلام ذا نفس كبيرة .

ان طلب المستحيل جنون ولكن يستحيل ضد الاشرار من عمل الشر .

ان خير وسيلة للانتقام من الحاسدين هى عدم التشبه بهم .

جورج ميرار



المرحوم عوض واصف صاحب مجلة المحيط الذى توفى قبل شهرين

كاميل ديمولان

للدكتور حسن صادق

مشهور نابه الذكر فى سجل الثورة الفرنسية ، رفعه نشاطه وعمله فى الأيام العصيبة إلى قمة المجد وجعل الشعب يتألم لأمره ويهتف باسمه ويجعل مكانته إجلالا كبيرا.

ولد فى «جيز» فى ٢ مارس سنة ١٧٦٠ ثم تعلم فى مدرسة (لويس الكبير) بباريس وتعشق فى هذا المعهد آداب الاغريق والرومان وأولع بالنظام الديمقراطى الذى تجلى لعينيه فى كتب الاقدمين فكان يتكلم عن أثينا وأسبرطة كثيرا ويسخط على ذكرى طاغية سرقسطة . وفى السنة التالية التى دخل فيها المعهد ، تسلم جائزة على تفوقه هى كتاب «الثورات الرومانية للمؤرخ فرتو» فانكب على استيعابه ثم خرج من هذه القراءة يشيد بذكر السعادة التى تنشئها الحرية ويسفه علانية ألوان الظلم بكل ما فى نفسه من قوة وحماسة

وحملته مخيلته المتوقدة خلال العصور اليونانية ثم العصور الرومانية وفتحت أمامه آفاقا قوت حماسته إلى درجة كبيرة ، فكان أقل اعتراض يوجه إلى إعجابه بتلك العصور يبعث فى نفسه هزات الغضب العنيف وتمكن من روحه وشعوره حب الأنظمة الجمهورية فما كان يقبل أن يناقشه فى هذا الشأن أى إنسان

وفى ١٢ يولية سنة ١٧٨٩ بينما كانت جموع المواطنين محتشدة فى حديقة «الباليه رويال» يتحدثون فى قلق شديد عن حوادث اليوم وخطط البلاط العدائية ، دخل الحديقة شاب يلهث من التعب وعلى وجهه وثيابه طبقة من التراب ، فاعتلى فى الحال مائدة صغيرة لبائع شراب الليمون وصاح فى صوت رنان جهورى قائلا «مواطنى» أنى قادم من فرساى ، وليس أمامنا لحظة واحدة نضيعها سدى . لقد أقيل الوزير نيكر ، وهذه الاقالة هى طليعة مذبحة كمذبحة سان بارتلمى تزهق فيها أرواح الوطنيين جميعا . وسيخرج فى هذا المساء فرق الجند السويسريين والألمان من (شان دى مارس) للقضاء علينا وحصد أرواحنا حصداً . وليس أمامنا الآن إلا وسيلة واحدة هى الحصول على السلاح واتخاذ

شعار عام نتعارف به فى كل مكان »

استقبلت الجموع أقوال هذا الشاب ، وهو ديمولان ، بهتاف الاعجاب الشديد . ولما هدأت العاصفة قليلا ، قال الخطيب « أى لون تريدونه ؟ أتختارون اللون الاخضر رمز الامل ، أم الازرق رمز الحرية الأمريكية والديمقراطية ؟ »

فاجابته أصوات لآلاف من الناس « الاخضر ! الاخضر ! »

وفى تلك اللحظة هجم على الحديقة عدد كبير من الشرطة وأخذوا ممتهم الى الجماعة الهائلة المحيطة بديمولان ، فقال هذا « ألم أقل لكم ؟ لقد أعطيت الاشارة المتفق عليها وها أنتم أولاء ترون عيون الاستبداد وعمله ينقضون عليكم ويحدقون فى تحديقا غريبا ! ولكن لن أقع فى أيديهم حيا ! » ثم أخرج من جيبه مسدسين ورفعها إلى رأسه ثم حركهما فى الهواء متوعدا وقال وهو يقفز إلى الارض « اقتدوا مثلى أيها المواطنون ! » ثم اختلط بالجموع المتراصة . وفى هذه الأثناء أحضر أحد الناس كمية كبيرة من شرائط من القماش الأخضر فأخذ ديمولان قطعة وعمل منها عقدة على قبعته وقلده كثير من المواطنين . ولكن القماش لم يسد حاجتهم جميعا ، وديمولان يعرف الأثر الكبير الذى تنتجه فى الجماهير شارات الاتحاد والتضامن ، فقصف فى الحال غصنا رطبا من شجرة الحديقة ، فقلده الذين لم يحصلوا على قطع القماش

ولم يمر على ذلك بعض ساعات ، حتى كان عشرة آلاف مواطن يسيرون فى شوارع باريس الكبرى حاملين تماثيل نصفيه للوزير نيكر وللدوق دورليان وكانت هذه الاستعراضه الوطنيه مقدمة يوم ١٤ يوليو المخضب بالدماء ومنذ ذلك اليوم اشترك ديمولان فى جميع الحوادث الشعبيه التى ترمى إلى انقاذ البلاد من الوان الظلم . ودفعته الحماسة الوطنيه الديمقراطيه التى ملكته إلى اصدار رسائل ميقاتية أودوريه مليئة برغباته الجمهوريه الملحة

ويخطىء كثيرا من يماثل الآراء التى كان ينشرها ديمولان بآراء «مارا» فى ذلك العهد المضطرب ، فأن مارا كان يدعو سنة ١٧٩٠ فى صحيفة «صديق الشعب» الى القتل والفوضى وقلب كل نظام اجتماعى ومواصلة اتخاذ التدابير الاستثنائية الفظيعه ، أما ديمولان فكان يعيب على زميله آراءه ويدعو الى الأعراض عنها

وقد اتهم ديمولان وغيره من الخطباء والكتاب الثوريين بأن صنائع الدوق دورليان ابتا

ذممهم واقلامهم بالمال الوفير . وقيل فى ذلك أن الدوق اجرى على ديمولان معاشا سنويا كبيرا. ولكن هذه التهمه لم تثبت صحتها ، لأن ديمولان ظل فى فقر شديد وقد كتب الى ابيه فى سنة ١٧٩٠ يسأله أن يرسل اليه بعض المال والمناشف والملاءات وفراشا حتى يستطيع أن يجنب نفسه نفقات الفندق التى لاتلائم موارد رزقه

وفى ذات يوم ، اتهم النائب «مالويه» ديمولان امام الجمعية الوطنية ، وكاد يقوم الى التحقيق، لولا أنه دافع عنه وأنقذه صديقه وزميله فى الدراسة «روبسبير» فخرج ديمولان من هذا الحادث يحمل أكاليل الشهرة وبعد الصيت ، واتجهت اليه الابصار من كل صوب واصبح شخصية بارزة هامة يعجب به البعض ويخشى بأسه البعض الآخر ثم تبسم له الحظ السعيد دفعة واحدة ، فأحبته فتاة فاتنة القسمات كريمة القلب سامية النفس رائعة العواطف هى ابنة رجل غنى من رجال المال المشهورين فى ذلك العصر ، وشعر ديمولان فى قلبه بمثل هذه العاطفة ، فأقسم العاشقان أن يكون حبهما ثابتا قويا حتى يدركهما الموت ، واتفقا على أن يوحدا جهودهما فى سبيل الحصول على موافقة والديهما . ولم تقم اى عقبه فى سبيل زواجهما من ناحية ديمولان ، لانه كان فقيرا يعيش بعيدا عن أسرته ، وهو سيد مستقبله لاينازعه فيه منازع . ولكن والد الفتاة «لوسيل» رفض أن يزوجها ممن اختارت ، وقال فى غضب شديد .

«أ يكون صهرى كاتبا ؟ وكاتبا سياسيا بلا ثروه ولامستقبل» فألحت عليه ابنته واضعف الحزن صحتها فلم يجد الوالد بدا عن العدول عن عناده

تزوج ديمولان من لوسيل فى مستهل سنة ١٧٩٧ ، وشهد على العقد روبسبير وسان جست وهذان الرجلان اللذان قاداه فى سنة ١٧٩٤ الى المقصلة اظهرا له عند الزواج صداقة قوية ووفاء خالصا ؛ وكانا يترددان كثيرا على منزله ، كما كان يتردد عليه شخصيات هامة للبحث فى شؤون فرنسا ومصيرها . وكانت لوسيل ذات الفكر الراجح تشترك احيانا فى مناقشاتهم وابحاثهم وتهدىء من عنفهم بما جبلت عليه من اللطف وعذوبة الفكر وصفاء السريرة .

واتصل ديمولان اتصالا وثيقا بدانتون وانتخبه الباريسيون عضوا فى «الكونفنسيون» ولكنه لم يلبث أن شعر بالنفور من المحكمة الثورية ، ثم شعر بالاسف والندم حينما قدم الى المحكمة واحد وعشرون

شخصا من خصومه السياسيين . ولما سمع الحكم عليهم بالاعدام ، لم يستطع أن يحبس الدموع خلف أهدابه ثم غادر المحكمة على حين بغتة وهو يصيح : « ما أتعسني ! » ومنذ ذلك الوقت أراد كاميل ديمولان أن يدخل الاعتدال على سير الثورة بعد أن روعه قتل كثير من أبناء وطنه وفي شهر يوليو سنة ١٧٩٣ أظهر هذا الميل علانية بتوليه الدفاع عن الجنرال « ديون » وكان هذا الجنرال اتهم بأنه يعمل على خلاص ابن لويس السادس عشر وانقاذه من يد الثائرين وكان ديمولان يعرف أن التهمة كاذبة ، وأن هذا الرجل ضابط باسل لبسي في ولائه مغمز ؛ فبعث هذا الظلم في نفسه أشد الغضب ، واعتلى المنبر للدفاع عن هذا الضابط . وما أن بدأ يتكلم حتى نهض بعض الاعضاء وطغوا بأصواتهم ، على صوته ؛ وصاح النائب « فارن » : « لا تتركوا كاميل يدنس شرفه ! » فلم يستطع ديمولان أن يستمر في قوله وعدل مكرها عن الدفاع . ولكنه نشر خطابا مفتوحا إلى الجنرال «ديون» مليئا بالسخرية المريرة من المحكمة الثورية ومن النائب «بيون فارن» ومن المتعصب « سان جست » فحقد عليه هذا الاخير حقدا شديدا ، وظل محتفظا بحقده حتى سنة ١٧٩٤ حين كان عضوا في اللجنة التي قدمت ديمولان الى محكمة الثورة وفي أواخر سنة ١٧٩٣ بدأ ديمولان ينتقد الارهاب في صحيفته الجديدة « الكوردليه العجوز » بالحماسة التي كان ينتقد بها النظام الملكي في سنة ١٧٨٩ ؛ لانه رأى أن لجنة الامن العام قد نشرت في أنحاء فرنسا الخراب والعبرات والاحزان ، وسمع نائبين يطلبان من المحكمة الثورية أن تجعل الموت دائما في رأس جدول اعمالها اليومية ، وسمع « مارا » يقول للشعب : اقطعوا ثلاثمائة الف رأس ، تضمنوا الحرية المشتهاة

هذه الحال دفعت ديمولان الى اصدار صحيفته الجديدة ، فاستقبل العدد الاول بالاعجاب والحماسة لانه كان صرخة اليأس وانشودة الامل في وقت واحد وكان يشتمل على نقد لاذع للحكم الذي تعانيه فرنسا وعلى شعاع أمل للذين ينفرون من كثرة الدماء وفظاعة الارهاب ولا يستطيعون الجهر بما تكنه صدورهم »

وفي أيام قليلة طبع من صحيفة ديمولان ٥٠٠٠٠ عدد اختطفها الشعب . وقرأ هذه الصحيفة اليعقوبيون أملا في العثور على شيء يتخذونه سلاحا ضد المعتدلين الذين يتخذون دانتون رئيسا لهم . ويقال إن كثرة اعضاء محكمة الثورة تأثروا بشجاعة ديمولان ووطنيته ؛ وكانوا يتحينون فرصة

ملائمة للوقوف تحت راية الاعتدال

وفى العدد الاول من الصحيفة المذكورة ، صور ديمولان فظائع حكم الارهاب وقارنه بطغيان قياصرة الرومان فى الزمن القديم . وأشار إشارة خفية إلى طباريوس وكلوديوس ونيرون ، ولكن الحجاب كان رقيقا ، فكان كل فرد يقرأ تحت هذه الاسماء أسماء « روبسبير » و « فوكيه رنفيل » و « سان جست »

سار ديمولان فى سبيل المعارضه ، وطلب كتكملة ضرورية للجنة الامن ومحكمة الثورة ، انشاء « لجنة الرحمة » تكون مهمتها فحص اسماء المتهمين وانقاذ كثير من المواطنين السجناء الذين يذهبون ضحية الأهواء والاحقاد الشخصية . وهذا المقترح أثار الغضوبيين على هذا الصحفى الكريم وخطبهم روبسبير فقال « أن أقوال كاميل تستحق السخط حقا ، ولكن ينبغى التمييز بين شخصه وأقواله أنه شاب طيب القلب ذو مكانة قيمة ، ولكن المحيطين به أضلوه عن سواء السبيل . والرأى عندى أن نحرق أعداد صحيفته أمامنا الآن »

وعقب ذلك اجتمع ديمولان بروبسبير وقال له فى جرأة : « انك تغالى القول الى حد بعيد ، ولكن أجيبك بالجملة التى قالها جان جاك روسو : الاحراق ليس جوابا ! أحقا انك ستغلق على أذرا كى تدعى أن صحيفتى لا يقرأها الا العظاميين « الارستقراط » وقد قرأها اعضاء محكمة الثوره ، وأذن هذه المحكمة لم تكون الا من العظاميون ! انك ساخط على ما كتبت ، ولكن انسيت أنى ذهبت اليك وأطلعتك على كتابتى واستحلفتك بما بيننا من الصداقة أن تدلنى الى برأيك وتنصح لى بالسبيل التى ينبغى أن أسلكها ؟ »

وأمام هذا الجواب الجرىء ، وهذا التحدى المباشر لم يستطع روبسبير الا أن يوجه الى ديمولان نظرة تشع الحقد والبغضاء . ثم قال لبعض أخصائه : « أذن لن تحرق أعداد الصحيفة لأن الرجل الذى يتمسك الى هذا الحد بكتابة شديدة الخطر لابد أن يكون قد استمد شجاعته وجرأته من أفراد مستترين به ، ولا يبعد أن يكونوا هم الذين أملوا عليه صحيفته . أن ديمولان آلة فى يد عصبة شريرة وضعت القلم فى يده لينفث السم فى صدور أفراد الشعب »

وعزم روبسبير على أن تقرأ أعداد صحيفة ديمولان من على منبر المحكمة حتى يستفز غضب الاعضاء

وقد قرئت هذه الأعداد واستغرقت قراءتها يومين كاملين وفي ختامها طلب كثير من الاعضاء شطب اسم ديمولان وأبعاده ، ولكن هذا لم يتم لظروف كثيرة

بدأ القلق بعد ذلك يستولى على أصدقاء ديمولان من جراء الأخطار المحدقة به ، ورجوه أن يكف عن الكتابة التي تضع في يد أعدائه أسلحة مخيفة . وقال له الجنرال « برين » صديقه ، وكان يتناول الطعام طعام الغداء عنده ذات يوم «لا أستطيع أن أمنع نفسي من الاعجاب بك ، ومع هذا ثق بأنك تفعل خيرا كبيرا اذا ما خففت من حدة كتابتك . اما اذا واصلت ما أنت فيه وضعت في أيدى خصومك سلاحا يقضون به عليك من غير أن تنقذ شيئا من مصالح الوطن » فأجاب ديمولان في حماسة وعزة ، بأنه يدافع عن عقائده ولن يتخلى عنها مهما تكن الظروف والأخطار . وفي تلك اللحظة نهضت زوجه لوسيل من مقعدها وعيناها تشعان بريق الحماسة ومسحت بمنديلها على جبين زوجها وقالت للجنرال : «دعه يعمل ! دعه يتم رسالته ، يجب أن ينقذ بلاده ! » فتبسم ديمولان وطوق خصر زوجه أعجابا بها ، ثم تناول كأس النبيذ وقال قبل أن يشربها : فلنأكل ولنشرب ! اننا نموت غدا

نبوءة غريبة حققتها الأيام التالية ! ... ودخل الشقاء هذا البيت الناعم السعيد !

في ٣٠ مارس سنة ١٧٩٤ كان ديمولان يهذب أصول العدد السابع من صحيفته استعدادا لارسالها الى المطبعة . وبينما هو مكب على عمله اذ تسلم خطابا من «جيز» مسقط رأسه مجللا بالسواد ، ففض غلافه مضطربا وقرأ ما يلي «ماتت أمك اليوم ظهرا راضية عنك كل الرضى . اني أقبل في حنان وفير امرأتك وطفلك هوارس» والدك

حزن ديمولان أشد الحزن واتكأ بمرفقيه على المنضدة التي امامه ، واستسلم للبكاء والتنهدات ، وظل في جلسته هذه وقتاً طويلا حتى تقدم الليل في سيره . وكانت زوجه في الغرفة الأخرى مع طفلها الصغير ، وهي تعتقد أن زوجها منهمك في عمله ، ثم غلبها التعب على أمرها فنامت.

وعلى حين بغتة ، سمع ديمولان وقع أقدام منتظمة تحت نافذته فتنبه من ذهوله وفتح النافذة وأطل منها فرأى جندا يقفون ببابه ، فهرول الى غرفة امرأته وصاح قائلا : « سيقبضون علي ! »

أفاقت المسكينة مذعورة ، وفهمت من هيئته كل شيء فضمته الى صدرها لتقيه شر الخطر المحدق به ولكنه أفلت برفق من هذا العناق السامي انحنى على مهد ابنه هوارس وقبل جبينه ، ثم نزل على

السلم وفتح الباب الخارجى

وفى سرعة عجيبة جذبه الجند وقيدوا يديه واقتادوه الى سجن لوكسمبرج

ومن هـــذا السجن كتب لزوجه خطابين رائعين قال فى احدهما : « عيشى لهوارس يا أعز الناس على ! حدثيه عنى كثيرا . انى على الرغم من عذابى ، أعتقـد ان الله موجود ! سيمحو منى أخطائى وهفواتى التى منشؤها الضعف الانسانى . ان كنزى هو فضائله وكلفى بالحرية ، وسيجازينى الله على ذلك خير الجزاء . الموت يالوسيل الذى يجنبنى رؤية الجرائم البشعة ، ليس فى نظرى مصيبة كبرى . انى أموت وأنا فى الرابعة والثلاثين من عمرى ، ولكنى أموت وأنا راض مستريح الضمير وسيأسف لموتى جميع الجمهوريين الحقيقيين . لقد ولدت يالوسيل لنظم الشعر والدفاع عن البائسين واعداد أسباب السعادة لك . كنت آمل فى انشاء جمهورية يحيا فيها الناس جميعا حياة الغبطة والهدوء وما كنت أعتقد أن يصل الظلم والقسوة بالانسان الى هذا الحد المروع ! انى أموت فداء عقيـدتى ووطنى ! وداعا يالوسيل ! »

ولما تسلمت زوجه خطابه الأول استولى عليها يأس قاتل ، ولـكنها تغلبت على ألمها وقالت لمن حولها « انى أبكى كامرأة لأن كاميل يألم فى سجنه ولـكنكم سترون منى شجاعة الرجال وسأنقذه .. ماذا ينبغى أن أعمل ؟ من من القضاة ينبغى أن أتضرع اليه ، ومن منهم ينبغى أن أهاجم علانية ؟ ابلغونى بيت دانتون »

— جرى عليه ماجرى على زوجك

— اذن لم يعد للوطن مدافعون .. لماذا تركونى حرة طليقة ؟ أيعتقدون انى لا أجرؤ على رفع صوتى لانى امرأة ؟ هل اعتمدوا على ضعفى ؟ سأذهب الى اليعقوبيين ! سأذهب الى روبسبير !

ثم كتبت الى روبسبير خطابا تعتب فيه عليه أشـد العتب . وأرادت أن تدخل السجن لترى زوجها ، ولـكنها لم تستطع الحصول على هذا الاذن . فرأته خـــلال القضبان الحديدية وهى أشد ماتكون جزعا ويأسا

ولما ذهب الجند به وبزملائه من السجن الى محكمة الثورة قال لهم فى الطريق انى ذاهب الى المقصلة وجريمتى الوحيدة هى انى ذرفت بعض الدموع على آلاف من التعساء الأبرياء والاسف ينخر ذالذى

على عند موتى هو انى عجزت عن انقاذهم

ولما مثل امام المحكمة صاح قائلا لهم : « انكم جلادون سفاكون ستجا كمونا من غير ان تسمعوا لاقوالنا أرسلونا الى المقصلة فقد عشنا المجد طويلا ! »

وفى يوم ٥ ابريل سنة ١٧٩٤ أركبه الجند مع بعض أمثاله الضحايا المركبة المشئومة التى تمضى بهم الى المقصلة وفى أثناء الطريق حاول ديمولان أن يهيج الشعب فكان يقول « أيها الشعب المسكين ، انهم يخدعونك ، ويقتلون أصدقائك وأنصارك ويقضون على أخلص المدافعين عن حقوقك القديمة ! »

ولما بلغ المقصلة وكانت دماء الضحايا تسيل منها هدأ وحل الاكتئاب الساكن فى دخيلته محل الهياج والغضب ، وأخرج من جيبه خصلة من شعر زوجه وقبلهـا قبلة طويلة وروى بعض الذين شهدوا موته أن يد ديمولان كانت تحرص على خصلة الشعر حينما قطعت سكين المقصلة حبل حياته

لم يكتف زعماء الارهاب بهذه الفريسة ولم تنطفىء غلة « سان جست » ففى ١٣ ابريل سنة ١٧٩٤ مثلت لوسيل المرزأة أمام محكمة الثورة وتهمتها انها تسلمت من رجل يضمر العداوة للثورة مبلغا كبيراً من المال يقدر بثلاثين ألف فرنك لتنفقه فى سبيل تهييج الشعب حول السجون وانقاذ السجناء وقتل أعضاء لجنة الأمن العام ، وأصدرت المحكمة عليها حكم الموت كزوجها

وبينما كان الجند يقتادونها الى المقصلة ، كتبت أمها الى روبسبير خطابا ترجوه من ورائه أن يستخدم نفوذه العظيم فى الحصول على العفو عن لوسيل وهى فى الثالثة والعشرين من عمرها ، وقالت فى هذا الخطاب أيها المواطن روبسبير ، ألم يكفك أن تريق دم صديقك وزميلك القديم ، فتريد فضلا عن ذلك دم امرأته المسكينة ؟ أنسيت الليالى التى كنت تقضيها عندنا ؟ أنسيت الطفل هوراس الذى كنت تداعبه وتجد ابتهاجا فى حمله على ركبتيك ؟ ان لم تكن قد نسيت ، فانقذ ضحية بريئة . وان كنت لا تزال متعطشا الى الدماء فتعال مزق جسمى وهوراس بيديك المخضبتين بدم كاميل الذكى . تعال حتى يجمعنا قبر واحد »

ولـكن روبسبير لم يأبه لهذا الخطاب وقطع رأس لوسيل بسكين المقصلة كما قطع رأس زوجها ودانتون من قبل

هذا موجز لحياة هذا الرجل العظيم الذى قضى شهيد مطالبته بانشاء لجنة الرحمة ، والذى أعد بكتابه موجز أنه عناصر القضاء على قطاعة الارهاب ؟

حسن صادق

أدمغتنا فى طريق الرقى أم الانحطاط

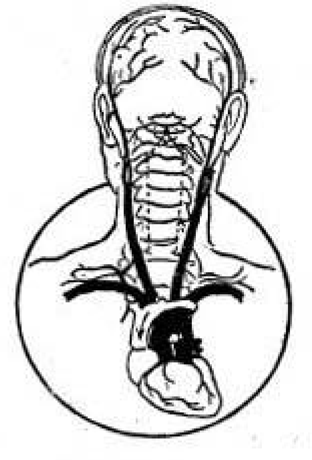
ليس هناك مفر من ان تستنتج الزيادة فى ذكاء الانسان عن ذكاء الحيوان بانها مرتبطة بزيادة جرم الدماغ فيه على جرمه فى الحيوان . فان سلم التطور يدل على ذلك . وكلما نقص جرم الدماغ نقص معه الذكاء . وهذه قاعدة مطردة فى الاحياء التى تعيش فى عالمنا الحاضر . واذا كنا لا نرى الذكاء يرافق الرأس الكبير على الدوام فى الانسان أو اذا كنا نجد أن كثيرين ينبغون مع رءوس صغيرة فان هذه الظاهرة المحدودة لا تنفى الظاهرة المطلقة فى أحياء الطبيعة . ويجب ألا نغفل أن المركز الاجتماعى والتربية والفرص الاقتصادية وارهاق العمل ورفاهية العيش فى الانسان كل هذه تؤثر فى ذكائنا وتجعل المقارنة بين الذكاء المولود والذكاء المكسوب شاقا . فان الرجل الذى لم تهبه الطبيعة سوى رأس صغير وذكاء محدود قد يتعلم ويمارس الاختبارات فيمتاز ويتفوق على رجل موهوب الذكاء برأس كبير ولكن الوسط لا يساعده على استخدام ذكائه وتثقيفه . ثم ان حياتنا الاجتماعية على وجه عام لا تحتاج الى استنباط جميع كفايتنا الذهنية واستخدامها ، ولذلك لا يرافق التفوق الاجتماعى جرم الدماغ . وهنا يجب أن نتساءل : هل الحضارة القائمة تساعد على زيادة الدماغ أم على نقصه ؟

والجواب على هذا السؤال أنه ليس هناك الى الآن ما يدل على ان ادمغتنا زادت او نقصت منذ بدء الحضارة القائمة . واغلب الظن ان الحضارة هى السبب فى هذا الركود . لأنها تجيز الزواج والتناسل لنحو ٩٩ فى المائة من السكان . فكل ملق الناس من عيوب او ميزات تقريبا يورث فلا يتغير الجسم او الرأس . وبكلمة اخرى نقول ان تنازع البقاء فى الحضارة يخف او ينعدم لان الجميع يتناسلون ولم تكن هذه حال الانسان قبل الحضارة . لأن تنازع البقاء لم يكن يرحم

تدرج الدماغ من السمكة الى الفرس فالقرد فالانسان

الضعيف ولم يكن يتيح له التناسل اذ كان الاقوياء والاذكياء هم القادرون فقط على سبى المرأة او اقتناصها باية وسيلة اخرى . بل تزداد الحال سوءا عندما تتأمل الامم التى تقدمت فى الحضارة واحتد فيها الوجدان الاقتصادى وارتقت فيها الثقافة مثل المانيا أو بريطانيا او فرنسا . ففى هذه الامم تخشى الطبقات المستنيرة المتفوقة الممتازة كثرة الاولاد فتحدد النسل . وقلما تزيد الاولاد فى الاسرة فيها على ولدين بل هى فى المتوسط ولد ونصف . وهذا فى حين ان الطبقات العاملة والفقيرة يكثر فيها النسل . فاذا استمرت هذه الحال فان الذكاء يقل فى الامة لان الناقصين يطغون على ذوى الكفايات طغيانا عدديا يقرا بمرور الأجيال .

ولسنا نعنى ان الاغنياء هم الاكفاء والفقراء هم الناقصون وانما نعنى ان المتبصرين الذين يحسبون للمستقبل يرفضون التناسل الا فى حدود ضيقة . وغير المتبصرين الذين لا يبالون نفقات التربية وتخريج ابنائهم للحياة مجهزين مثقفين يتناسلون بكثرة . وليس الذكاء متوقفا على ضخامة الدماغ وحدها . فان التفكير الحسن يحتاج الى النظام الفسيولوجى الحسن فى جميع نواحى الجسم وخاصة فى الدماغ نفسه فاذا كانت الشرايين التى تمد خلايا المخ بالدم قد تصلبت وضاقت فان هذه الخلايا لا تستطيع ان تؤدى مهمتها على الوجه المطلوب . وربما كان الامر الذى نراه فى الشيخ راجعا الى ضعف الغذاء الدموى للدماغ . ولذلك لا يفوتنا ان نذكر ان كل تقدم فى الذكاء سيحتاج الى شيئين احدهما ضخامة المخ والثانى وفرة الدم الصالح الوارد اليه ببقاء الشرايين سليمة مدة طويلة



الشرايين التى تغذى الدماغ

والتربية الحديثة لا تستغل كل ذكائنا لان اساليب التعليم سيئة . وبعض اللغات بقلة الفاظها التى تؤدى المعنى المضبوط تعرقل التفكير . لان الالفاظ ادوات يستعملها العقل للتفكير . وكما أن العامل الضعيف قد يؤدى عمله بالادوات الحسنة باحسن مما يؤديه العامل القوى بالادوات السيئة كذلك قد نكون اذكياء ولكن لغتنا لقلة الفاظها الدقيقة المعبرة تؤخر تفكيرنا او تعطله . بل هذا هو الواقع الآن فى اللغة العربية فاننا لو شئنا ان نفكر بالفاظها فى الصيغ

الفلسفية‌بلجيز أو اد يتنجون او فى الصيغ الادبية او العلمية او الاجتماعية لوجدنا مشقة كبيرة . ولذلك كثيرا ما تفتح لنا ابواب التفكير عندما نهتدى الى لفظة معبرة . فقد اهتديت انا الى لفظة ثقافة لكى تؤدى معنى « كولتور » قبل نحو ١٥ سنة . فكانت هذه اللفظة اداة حسنة للتفكير بين جميع الشباب . وقد رأيت كيف ان بعض الالفاظ السيكلوجية دفعت التفكير وخدمت عقولنا فى التنوع والبناء . وانا اؤكد هنا ان اهتداء احدهم الى لفظة « رجع » بمعنى reaction سوف يخدمنا خدمة جليلة وهكذا الشأن فى سائر الالفاظ التى تنقصنا

فالتفكير الحسن يحتاج الى ذكاء مولود يزداد براعة بالاكتساب . وقد تفكر الامم فى المستقبل فى زيادة الذكاء المولود بالانتخاب المقصود المدبر . بل المانيا تفعل شيئا من ذلك الآن حين تمنع الناقصين من التناسل . ولكن فى ذكائنا الحاضر ما يكفى للرقى العظيم اذا احسنا تربيته وجهزناه باللغة المعبرة المتمدنة

اما اذا شئنا ان نتكهن عن مستقبل الدماغ الانسانى فى ضوء التطور البيولوجى الماضى . واذا فرضنا انه سوف تكون هناك رقابة حكومية لزيادة الاذكياء وإبادة البلداء فان ما يمكن ان يقال هنا على سبيل الظن - او اذا شئت الرجم - فهو ان الدماغ سيكبر من الامام والجانبين . وينحدر المخيخ الى اسفل زيادة على انحداره الذى تحقق فى الوف السنين الماضية . ولكن قوة التفكير - كما قلنا - لا تحتاج فقط الى دماغ كبير يتسع سطحه لاكبر عدد من الخلايا . وانما هو يحتاج الى غذاء حسن وقنوات سليمة أى شرايين تحمل هذا الغذاء . ولذلك فان الرقى الذهنى فى المستقبل سيحتاج الى النظر فى هذه الشرايين بمثل العناية التى ينظر بها الى ضخامة الدماغ . ولا يبعد ان تغلظ العنق لهذا السبب وتقصر حتى تقرب المسافة بين الرأس والقلب فيتوافر الغذاء للدماغ . وعلى سلامة هذه الشرايين التى تنتشر فى الدماغ يتوقف العمر فضلا عن الذكاء لأن تصلبها يؤدى الى الانفجار فالموت . ولذلك يمكن من هذه الناحية ان ترافق زيادة الذكاء زيادة العمر

كتب الشهر الجديدة

القانون الدستورى

تأليف الدكتور وايت ابراهيم والدكتور وحيد رأفت صفحاته ٨٥٧
من القطع الكبير . طبع بالمطبعة المصرية بالقاهرة

هذا الكتاب يجب الا تخلو منه مكتبة مصرى مثقف . فانه مرجع نحتاج اليه فى ظروفنا الحاضرة . بل الطوالع السياسية تدل على اننا سوف نحتاج اليه كثيرا فى ظروفنا المستقبلة . والكتاب اقسام . الاول يبحث دستور الدولة المصرية اى دستور سنة ١٩٢٣ . مع فصول مسهبة فى اشكال الحكومات من ملوكية وجمهورية واتحادية . ومعنى النظرية الديموقراطية والاستفتاء وحق المنع والاقتراح وشرح طرق الانتخاب والتصويت . ومسئولية الوزارة الخ ثم تلى ذلك اقسام اخرى

ونحن ننقل هذه النبذة التالية عن « تقديس الدستور » :

« لاخير فى دستور اذا كان من الممكن تعطيل نصوصه والضمانات الموجودة فيه بمجرد ارادة الحاكم . ولذلك نرى ان اغلب الدساتير تنص على عدم جواز تعطيلها الا فى احوال . ولم يشذ الدستور المصرى عن هذه القاعدة فقد جاء فى المادة ١٥٥ من الدستور انه « لايجوز باية حال تعطيل حكم من احكام هذا الدستور الا ان يكون ذلك وقتيا فى زمن الحرب اوفى اثناء قيام الاحكام العرفية . وعلى الوجه المبين فى القانون . وعلى أى حال لايجوز تعطيل انعقاد البرلمان متى توافرت فى انعقاده الشروط المقررة بهذا الدستور » وقد استثنى من ذلك حالتان . حالة الحرب . وحكمة ذلك ان الحرب تستدعى كل مجهود الدولة وقد تستلزم الاعتداء على بعض الحريات ففى تقييد الدولة بعدم تعطيل الدستور فى اثناء الحرب تفويت لمصلحة الدولة التى تقتضى ان تسير بالامة الى النصر . ولو اوذى

بعض الأفراد. والحالة الثانية هي حالة اعلان الأحكام العرفية التي تعلنها الدولة المصرية . وقد اشترط الدستور أن يكون ذلك على الوجه المبين في القانون »

كنوز الفاطميين

تأليف الدكتور زكي محمد حسن صفحاته ٢٩٢ من القطع الأكبر
وبه ٦٤ لوحة طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

مؤلف هذا الكتاب هو امين دار الآثار العربية وهو يعرف موضوعه أتم المعرفة الممكنة . أي وصف آثار الفاطميين في مصر . وقد مهد لذلك بنحو عشرين صفحة في وصف الدولة الفاطمية وحالة البلاد في حكمها . وعنى عناية خاصة برحلة ناصر خسرو التي تدل على مقدار الرخاء الذي تمتعت به مصر ايام هذه الدولة . والواقع ان الانسان ليدهش من هذه الآثار . ولكن حياة الشعب لم تكن مع ذلك هنية كما يتضح ذلك من فصل للمؤلف عن « الشدة العظمى » فان الجنود الترك والبربر والسودان كانوا ينهبون قصر الخليفة . ويقول المؤلف « والعجب ان المقريزى يذكر ما يشعر بأن الحكومة كانت تغض الطرف عما ينهبه الجند من قصور الخليفة لئلا يمتد شرهم الى الشعب فيزيدونه بؤساوشقاء . فلم تعترضهم الدولة . ولكن مصر كان مقضيا عليها بالبؤس في ذلك الحين وانقطعت عن اسواق القاهرة المواد الغذائية التي كانت ترد اليها من الاقاليم . وغدت منعزلة عن بقية أجزاء البلاد اذ بينما كانت السيادة فيها للجند التركية كان الصعيد في يد السودانيين . وكانت الاسكندرية وجزء كبير من الدلتا في يد فريق آخر من الجند التركية تساعدهم قبائل من العرب والبربر . فقلت الاقوات وغلت الاسعار فصارت البيضة بدينار والرغيف بخمسة عشر دينارا . وحتى الخيل والبغال والقطط ارتفعت أثمانها واضطر سكان القاهرة الى أكل لحم الانسان ... ثم أصبح القصابون يبيعون لحم الانسان في حوانيتهم وجرى المؤرخون المسلمون على تسمية تلك السنين بالشدة العظمى »

ومثل هذا الوصف يوهم أن زلزالا أو طوفانا قد خرب البلاد ولكن الحقيقة أن معظم هذا الخراب انما كان يرجع الى فساد الحكم وطغيان الجنود على الامة والحكومة

الهـــــــام

قصة تأليف الاستاذ نقولا يوسف صفحاتها ١٩٢ من القطع الكبير
طبعت بمطبعة المجلة الجديدة بمصر

قراء هذه المجلة يعرفون مؤلف هذه القصة بمقالاته الفريدة التي يتفضل بنشرها فيها . وهذه القصة هي ثمرة الخيال الذي يستند الى الواقع . وقد قال المؤلف في مقدمتها : « وسترى أنها قصة مصرية لا تدور حول غاية معينة من أنواع الاصلاح ،يغلب فيها ذلك النوع التصويري الذي يصور المناظر والشخصيات والميول والخواطر لا سيما ما ينساب منها أحياناً في الرأس بلا ترتيب .. وسترى أن أبطالها من الشباب الذين يتميزون بشعور قوي وقلوب ملتهبة تتبدل عليها شتى الازمات النفسانية فتزيدهم تجاريب في الحياة وقوة في الشخصية . ومع أن هذه القصة لا تصور حياة المؤلف الا ان فيها بعضا من نفسه وتجاربه ومشاهداته مشتتا في عدة مواضع »

والقصة سلسلة الاسلوب صافية الخيال تقرأ في لذة واستمتاع

مصطفى النحاس

تأليف الاستاذ عباس حافظ صفحاته ٤٤٠ من القطع الكبير مزين بالصور - طبع بمطبعة مصر بالقاهرة

ليس هذا الكتاب مقصورا على حياة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا وانما هو دروس وافية للزعامة . فان المؤلف يحدثنا عن سر الزعامة . والعوامل والمؤثرات في نشأتها . والشخصيات البارزة والصفات اللازمة لها . ومقام الزعيم في النظام الديمقراطي .وحسب القارىء أن يعرف أن من فصول هذا الكتاب فصلا عن غاندي يبلغ ٣٢ صفحة . وقد أسهب في شرح الثورة المصرية وحياة سعد ثم تناول بالشرح سير الحركة الوطنية الى العام الماضي . وتحدث عن الرئيس الجليل : نشأته وتكوينه . حياته العملية .جهوده في بناء الديمقراطية والدستور الخ

والمؤلف كاتب مثقف تتضح ثقافته الواسعة من الفصول الاولى للكتاب حيث يتناول التاريخ والاجتماع ومزجهما لاستخراج المغزى من حركات الشعوب . كما انه لا تفوته حادثة ذات قيمة في

الثورة المصرية أو فى تطور الحركة الوطنية . فانه يتناولها بالشرح والتعليق . كما انه يبرز الميزات الوطنية العظمى التى يمتاز بها الزعيم . ومثل هذا الكتاب يجب أن يقرأه الشاب والشيخ سواء

وادى النطرون

تأليف الامير عمر طوسون . ومذيل بكتاب تاريخ الاديرة البحرية

صفحاته ٢٢٥ من القطع الكبير مزين بالصور وخارطة طبع بمطبعة السفير بالاسكندرية

لصاحب السمو الامير عمر طوسون خدمات جليلة فى التأليف التاريخى عن مختلف الشئون المصرية . وهذا الكتاب يبحث الاديرة وتاريخ الرهبنة . وقد شرح الباب الاول وادى النطرون وحاصلاته . والثانى رهبان هذا الوادى قبل الفتح العربى وبعده . والثالث وصف أديرته. والرابع البطاركة الاقباط ومدة كل منهم . والخامس تاريخ الاديرة البحرية . والكتاب مهدى الى صاحب الغبطة بطريرك الاقباط

مجلة الطالبة

ستصدر هذه المجلة فى أول الشهر القادم . وهى شهرية فى أربعين صفحة بقطع المجلة الجديدة وتقوم بتحريرها الآنسة ميترفا عبيد تعاونها جماعة الفتيات خريجات الجامعة المصرية وهى مجلة ثقافية أدبية رياضية ستتناول شئون الفتاة المصرية وتنقل الى اللغة العربية ابرع القصص والمقالات وتزين برسوم الرسامين المصريين . وهى تؤمل ان تعبر عن اراء الفتيات المصريات . ويمكن قرائنا ان يتصلوا بادارتها فى ٣ ميدان سوارس بالقاهرة

في الحياة والعمل

بقلم سلامه موسى

الافلام التثقيفيــة

نسى الجمهور الحملة الزائفة التى حملتها بعض الدوائر على الجامعة الأمريكية فى القاهرة حين اتهمتها بأنها لم تنشأ الا للتبشير . ونسى جمهورنا هذه الحملة لأن طبعه السليم قد هداه إلى الحقيقة وهى أن الغاية التى قصد اليها من تلك الحملة أيام وزارة عبد الفتاح يحيى انما كانت أن تشغل الأذهان بالكلام عن التبشير لكى تنسى الحديث عن الدستور

والآن يعرف الجمهور من الخدمات المختلفة الثقيفية التى تقوم بها الجامعة الامريكية انها موسس عظيم من موسسات الحضارة الحديثة . فلها بقاعة يورت التى جعلتها منبراً حراً للآراء المصرية وبمجلتها التعليمية التى تنير أذهان المعلمين والطلبة وبمزرعتها التجريبية التى تدرس فيها عيوب الزراعة بل بكلياتها المختلفة التى تربى شبابنا ـ بهذا كله وبغيره تثبت لنا انها عضو نافع فى جسم الأمة المصرية

وقد عرف الجمهور من هذه الجامعة بدعة الأفلام التثقيفية ورأى قبل يومين فلما رائعاً فى قاعة يورت عن حياة الاسماك وصيدها فى بحار العالم الكبرى . وقضى نحو ساعة وتصف فى رؤية هذه الاسماك والاحياء البحرية الاخرى . ورؤيتها نزهة ينطلق فيها الذهن ويمتلىء عجباً من هذا العالم المستور عنا فى مياه البحار على أعماقها المختلفةوهو برؤيتها يخرج وهو أعرف بالدنيا وأفهم للطبيعة وأعمق بصيرة فى هذا الكون العجيب الذى يحيط بنا ونعيش فيه . ومثل هذا الفلم جدير بأن يزيد الانسان تديناً من حيث يزيد تفقهه فى هذه الطبيعة الرائعة

ولابد أن بعض الذين رأوا هذا الفلم قد فكروا فى هذه الوسيلة الجديدة للتثقيف نعنى الافلام السينمائيه . فانه ليس فى العالم الآن وسيلة للتعليم هى خير من السينما توغراف . فلا المدرسة ولا الجامعة ولا الكتاب ولا المجلة ولا الراديوفون ولا أى شيء آخر هو أقدر على التعليم من الافلام . فان

الشريط السينمائي يمكنه أن يعرض للمتعلم الناشيء جميع العلوم الوصفية التي يحتاج اليها بأسلوب يغريه على الأقبال عليها والدرس لها بما لا تقاس به أية وسيلة أخرى . مثال ذلك هـذه الجغرافيا التي كنا لا نعرف منها غير الاستظهار للاسماء يمكن أن تعرض للصبي على اللوحة السينمائية أرضاً وبحراً وناساً وحيواناً ونباتاً ومحصولات وصنائع فيعرف في اليوم مع اللذة والاستمتاع مالا يمكنه أن يعرف مثله في أشهر مع العناء من الكتاب أومن شرح المعلم في حجرة الدرس

ثم هـذه الاحياء العجيبة التي تمتليء بها عالمنا في اليابسة والماء لايستطيع الناشيء أن يعرفها بل ويرى تشريح أعضائها بأحسن وأدق مما يريه الفلم السينمائي . ثم انظر إلى نمو النبات أو الحيوان وكيف يمكن الجهاز السينمائي أن يعجل لنا درجة هذا النمو فنراه مبسوطا أمامنا حتى تختصر الاسابيع في دقيقة أو دقيقتين . فنلمح في لحظات ظاهرة بديعة من ظواهر الحياة . وهكذا الشأن في كثير من العلوم والفنون والصناعات . فانها جميعها تجد في السينماتوغراف أعظم وسيلة للوصف المنير المثقف وهذا يجرنا إلى مكانة الثقافة من السينماتوغراف في مصر . فان الواقع أنها قليلة القيمة ولكن الجمهور الذي أقبل على القيل والقال في الحفلات الاسبوعية قد اضطر أصحاب الدور السينمائية إلى جلب الافلام القصصية الغراميه . وقد أتاح نجاح هذا الأسلوب فرصاً تثقيفية في إحدى هذه الدور . وكانت وزارة المعارف قد عنيت في وقت ما بجلب الافلام السينمائية وتنبهت المدارس الحكومية والاهلية إلى قيمتها ولكن نشاطها فتر بعد ذلك

ونظن أن وزارة المعارف تحسن إذا هي عادت فنظرت إلى هـذا الموضوع بعين الجد وأكدت للمدارس ضرورة التثقيف السينمائي . بل ربما هي تحسن أكثر اذا هي أنشأت داراً سينمائية يقتصر فيها العرض على الأفلام التثقيفية التي يباح الدخول فيها بأجور منخفضة . كما تحسن الحكومة اذا هي رفعت المكوس الجمركية عن جميع الافلام التثقيفية بل وأعانت الدور السينمائية التي تقصر عرضها على هذه الافلام باعانة مالية سنوية تكفل لها ربحا معقولا وتقيها من الخسار الذي ربما يقع بها من احجام جمهورنا الذي تعود السخف والقصص الغرامية من الافلام الاخرى

إن الحكومة قـد أدت عشرات الالوف من الجنيهات إعانة سخية لما تسميه المجمع اللغوي . ولو شئنا أن نتقاضاها عن الفائدة التي عادت على الامة من هذه الاموال لما أحارت جوابا إذ لم تتمتع الامة من هـذه الالوف المؤلفة من هـذا المجمع بما يساوي مليما . ولكن داراً سينمائية تعرض علينا

أفلاماً منيرة كهذا الفلم الذى عرضته الجامعة الامريكية عن الاسماك والأحياء البحرية تستحق الاعانة السخية . لان كل فلم من هذه الافلام هو نافذة من النور تكشف لنا عن أسرار الطبيعة

انسحاب ايطاليا من عصبة الامم

إنسحبت إيطاليا من عصبة الامم إنسحابا رسمياً بعد أن تركتها من حيث العمل والتعاون نحو سنتين . والمغزى الوحيد الذى إستنجته الجرائد الكبرى فى عواصم أوربا أن هذا الانسحاب لايعنى سوى تقوية الكتلة الفاشية التى تضم ألمانيا وإيطاليا واليابان .وقد يكون هذا التعبير خطأ لان هذه الدول ليست جميعها فاشية . فان اليابان لاتزال دولة دستورية تجرى على مبادىء النظام البرلمانى. والنظام القائم فى ألمانيا يختلف من النظام الايطالى . ولكن الرابطة التى تربط بينهن هى كراهة الشيوعية أو مايسمى الكومنترن . وهذه اللفظة منحوتة من كلمتين هما كومنسم أنترنسيونال أى الشيوعية العالمية . وقد أخذ المقطع الأول من الكلمتين فتألفت منهما لفظة كومنترن

وروسيا هى الهدف الذى يتجه اليه عداء هذه الامم الثلاث باعتبار انها الدولة الشيوعية . ولكن من غرائب الفوضى فى السياسة العالمية الحاضرة أن روسيا هى الآن عدوة الشيوعية وهى تحاربها فى من تسميهم أنصار تروتسكى الذى يقيم منفياً فى مكسيكا

وتروتسكى هذا هو قرين لينين وكان قد اختلف مع ستالين فى السياسة الداخلية والخارجية . فان تروتسكى كان يطلب أن يجعل الحركة الشيوعية تعم العالم وأن الجيش الروسى بل القوات الروسية جميعها يجب أن تكون فى خدمة الشيوعية فى العالم وليس فى روسيا . أما ستالين فقال بوجوب قصر الجهود على روسيا . والشيوعية فى لبابها وكا ورثها الشيوعيون عن ماركس حركة عالمية وليست وطنية ولذلك فان ستالين يعد من هذه الناحية غير شيوعى فى حين يعد تروتسكى شيوعياً صميما

وإذا كانت روسيا تحارب تروتسكى وتقتل أنصاره فانها بهذا تثبت عداءها للشيوعية . بل الواقع الان أن الروسيين يقولون أن ماعندهم من أنظمة إنما هو الاشتراكية وليس الشيوعية . وأن البرهان على ذلك — وهو برهان قوى — أن الموظفين يختلفون فى مرتباتهم فى حين تحتم الشيوعية المساواة. كما ان هناك متاجر حرة لا تزال فى أيدى الأفراد . والشيوعية تستنكر ذلك

ولكن إذا سلمنا بأن النظام القائم فى روسيا اشتراكى فكيف نصف النظام القائم فى ألمانيا ؟

أليس هو أيضاً اشتراكياً ؟

ان الذى لامحيص عنه حتى مع الفوضى الحائلة فى الانظمة والعلاقات السياسية أن أقرب الحكومات شبهاً بروسيا هى حكومات ثلثى أعدائها أى ألمانيا وإيطاليا . فان الحكومة فيهما تقوم على النظام النقابى وهذا هو النظام نفسه الذى يعمل به روسيا

وإذن ماهو المغزى من إنسحاب ايطاليا ومن هذه الكتلة المتضامنة التى تكاد أن تؤلف محالفة هذه الأمم الثلاث تشترك جميعها فى فيض السكان على الأرض وفى حرمانهن من المستعمرات التى يمكن هؤلاء السكان أن يهجروا اليها للاقامة . كما أنهن أمم صناعية فى حاجة إلى المواد الخامة التى تحتاج اليها الصناعات الراقية الكبيرة . فهذه الصفات المشتركة بينهن هى التى تجمعهن وهى التى دعتهن إلى الخروج من العصبة وسوف يطالبن بالمستعمرات بقوة وفى حرية لم تكونا تتاحان لهن من قبل حين كن أعضاء فى العصبة

فانسحاب إيطاليا هو انذار للعالم كله بأن الدول الكبيرة لايمكن أن تعيش وهى تضيق بسكانها وتحرم من المستعمرات فى حين يتمتع بها سائر الأمم الكبيرة مثل فرنسا وبريطانيا وقد وقفت فيها زيادة السكان وزيادة المصنوعات ومع ذلك لهن من المستعمرات مالاحد لمساحتـه وخصبه فى المواد الخامة

واذا شئنا أن نتعمق ونصل الى المغزى الخفى من هذه الفوضى فلا بد لنا من أن نقول أن تغير النظم الاقتصادية قد استحدث تغيراً فى الأخلاق وفى التوجيه الأيديولوجى وفى النظر الدينى . فاوربا فى طور من التقلقل والتزعزع قد انسلخت من تقاليدها أو كادت . فهى تتردد فى الدين وتشك فى الحكمة السياسية الماضية ولاترى للاخلاق القديمة قيمتها ومن هنا هذا الاضطراب فى السياسة العالمية الذى يوهمنا أن الدنيا تدور ولكن على غير محور ثابت

روح الصحراء

لاتزال الأخبار المختلفة تتوالى على الصحف بشأن صحة الملك ابن السعود . فانه على الرغم من فتوة الشباب التى اشتهر بها قد أخذ يشكو فى السنوات الاخيرة بضعف القلب . وقد ترددت عليه

ثوبات اغماء كانت مثارا للقلق بين الملتفين حوله من كبار النجديين

ويتحدث الحجازيون بالاحتمالات المنتظرة . فان السكينة التى تعم الحجاز هذه الايام تخفى تحتها قلقا وسخطاً قد ينفجران فى أى وقت اذا قدر الله وتوفى الملك ابن السعود . فهناك عوامل كثيرة يخشى منها . فان الحجاز لايرضيه حكم النجديين . بل يتساءل الحجازيون المستنيرون الذين احتكوا بالاقطار العربية المحيطة وعرفوا قليلا أو كثيرا عن نهضاتها — يتساءلون : لم لا يحكم الحجاز حجازيون . بل هم يزيدون على ذلك بقولهم أن الحجازى أعرف بالحضـــارة الحديثة من النجدى فان عدداً كبيرا من أبنائهم يتعلم فى مصر وسوريا ولبنان فى حين لايعرف النجديون ذلك بل هم قد يعارضون فى مثل هذه البعثات

والواقع أن موقف الحجاز فى غاية الغرابة . فان الحجازيين شعب متمدن يسوده شعب بدوى والسيادة قائمة على مبدأ الفتح . وهو مبدأ يتعارض مع الاراء العصرية الحديثة والتنافر تام بين الحجازيين والنجديين . ولو أن امام اليمن كان ملكا على الحجاز وكان اليمنيون يسودون المرافق الحجازية لكان لهذا وجه حتى مع المعارضة التى يشعر بها شعب يحكمه أو يسوده شعب آخر . فان اليمنى متمدن مثل الحجازى يمارس الزراعة ويتمتع بقسط كبير من الحضارة أما النجدى فلا يزال يجهل الزراعة وهو يكره الحضارة ويعيش تلك العيشة البدائية التى يعتمد فيها على النخيل ورعاية الابل والغنم

والنجدى بطبيعته الفطرية وعيشته البدائية يجعل من الضرورات التى تفرضها عليه الصحراء فضائل . وهو يسوم الحجازيين المتمدنين . هذه « الفضائل » .مثال ذلك أنه لفقره يكره الكماليات أى أنه لايحصل عليها فيعود عجزه عنها فضيلة يدعو اليها . والصحراء لاتتطلب التأنق . فهو يدعو الى كراهة الحرير والتدخين . والضعف الانسانى الذى يبدو فى تناول كأس من الخمر يستحيل عنده الى جريمة لا تغتفر . ولكن الحقيقة أن النجدى البدوى لايكره التدخين والحرير والخمر بأعيانها ولذواتها . وانما هو يكره التأنق عامة لان التأنق من صفات الحضارة وهو بدوى يكره الحضارة ويخافها . وهو لهذا السبب يكره الفنون الجميلة والابحاث الفلسفية لانها جميعها تأنق ذهنى أو هى كماليات لرجل يريد أو تقسره الطبيعة على أن يعيش بالضروريات فقط

ومن هنا هذا التنافر الذى لا تنقطع أسبابه بين النجدى البدوى وبين الحجازى الحضرى. وكان من المعقول أن يحكم الحجازيون النجديين ويعلموهم مبادىء الحضارة ويغرسون فيهم ألوان الثقافة فان هذا يتفق وروح العصر الحديث الذى يجعل الأمم الأوربية تستعمر مجاهل أفريقيا أو أمريكا ولكن العكس هو الواقع الآن. وهذا الواقع هو الذى يبعث السخط فى نفوس الحجازيين ويجعلهم يفكرون فى الاستقلال والانفصال من نجد. ومرض الملك ابن السعود هذه الايام يجعل للاحتمالات القادمة قيمة كبيرة فقد يتعرض السلام فى الجزيرة العربية لمفاجآت سيئة. فان اليد الحديدية التى يحكم بها ابن السعود أقطاراً متنافرة تمتد من نجران فى شمال اليمن الى الأردن فى جوار فلسطين الى الكويت فى الشرق الى العقبة فى الغرب تجعل الانفجار مرجحاً عند وفاته التى نرجو أن تكون بعيدة الوقوع

الدين فى العمل

قبل أيام حضرت اجتماعا فى جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة، وكان الحاضرون يختلفون فى أديانهم ومذاهبهم. ولكنهم يتفقون فى التدين أو فى تفسير الدين من بعض وجهاته بالبر. ودارت مناقشة بينهم عن أفضل الطرق التى يمكن أن تساعد بها الصبيان المحتاجين فى القاهرة. وانعقد اتفاقهم على اقامة مؤسس خيرى يجمع هؤلاء الصبيان فيعمم بينهم ثقافتى الجسم والذهن ويعودهم العادات الحسنة ويفتح للعاطلين منهم أبواب الكسب الشريف ويعالج المرضى ويعقد لهم الاجتماعات التى ترقى وجدانهم الاجتماعى

وقد قلت أن المجتمعين كانوا يختلفون فى الدين اذ منهم المسلم والمسيحى. كما كان المسيحيون يختلفون فى المذهب اذ منهم الأرثوذكسى والبروتستانتى. ولكنهم كانوا يتفقون فى ان الدين عمل وليس كلاماً. وأن الاخوة الانسانية أو المحبة بين الناس لا تعنى شيئاً آخر سوى الخدمة أو المعونة لمن يحتاج اليها. ومن أحوج من هؤلاء الصبيان الذين يعيشون فى وسط الفاقة يحتاجون الى الطعام الحسن واللباس الحسن والعشرة الحسنة وفوق ذلك الأمل والرغبة وفى الخير ثم الوجدان الاجتماعى

الذى يباعد بينهم وبين مزالق الجريمة ؟

وقبل نحو سبع سنوات عرفت رجلا أمريكيا كان يختص بلون من الوان البر التى تقارب هذا التفكير . فانه كان يرأس جمعية كل عملها ينحصر فى ارتياد الاحياء الفقيرة فى المدن الامريكية حيث تتكدس المنازل فلا يجد الصبيان مكاناً للعب والحركة والعدو والوثب . وهم بطبيعتهم حيوانات صغيرة يحتاجون لكى يعيشوا فى صحة حسنة الى كل ذلك . فكانت الجمعية تعمد الى بعض المنازل فتشتريها ثم تهدمها وتقيم مكانها ميدانا للعب تحوطه ببعض الشجيرات وتقيم به حماماً ومرافق أخرى فيقصد أبناء الفقراء من المنازل المجاورة الى هذا الميدان للعب

ثم يخطر ببالنا أيضاً هذا المجهود الشريف الذى تقوم به ألمانيا هذه الأيام فى مكافحة الشتاء . فهناك ينزل الوزير الى الشارع وفى يده كشكول يجمع به التبرعات كأنه شحاذ وتفرض الأمة على نفسها الا تأكل فى يوم معين غير لون واحد لكى تؤدى فرق الثمن فى الطعام للفقراء . بل هى تحتم على نفسها ان تأكل السمك فى يوم كل أسبوع لكى يجد الصيادون ـ وهم أفقر الطبقات ـ رواجا لبضاعتهم

فهذا هو الدين العامل أى الدين الذى يخفف المرض أو يعالجه وينير الذهن ويكسو الفقير ويشبع الجائع . بل هذا هو الذى يمتع الصبيان بحياتهم ويثقف أجسامهم وأذهانهم ويهنئهم بسنى الصبا التى يجب أن تكون جميلة ممتعة لكل صبي

وليس الشتاء فى مصر بالصرامة التى يكون بها فى ألمانيا ولكنه مع ذلك يقرس الفقير عندنا بالبرد ويحوجه الى أشياء لانحتاج اليها فى الصيف . فماذا فعلنا للمحتاجين فى هذا الشتاء ؟

إن البؤس الذى يعيش فيه فقراؤنا ليس له شبيه فى العالم المتمدن . وقد يكون فى الهند أو الصين مايشبهه أو يزيد عليه . ولكن ليس من حقنا أن نقارن بين مصر وبين هذه الامم الشرقية التى لاتزال فى مؤخرة الموكب البشرى . وانما يجدر بنا أن نقارن بيننا وبين الامم المتمدنة مثل ألمانيا أو فرنسا أو انجلترا . وعند جميع هذه الامم ألوان من البر لاتكاد نعرفها بل قد لانصدقها . فعلينا أن ندرسها وأن نأخذ بها فى مصر بالروح الدينى الذى يطالبنا قبل كل شىء بخدمة المحتاجين .

ثقافة اليسار

قبل أكثر من عام ابتكر أحد الناشرين فى لندن مشروعا يرمى إلى غاية ثقافية واجتماعية معاً . فانه رأى ان الآراء الدكتاتورية تفشى وأن لها زعماء أغنياء ينفقون عليها . وأن الروح الديمقراطى يتضعضع أمام الديكتاتوريات وأن الحكومات الديمقراطية يخشى عليها من هذه الحركات الديكتاتورية . فعمد الى جماعة من الأحرار ودعاة التجديد فى السياسة والاجتماع وأنصار السلام وطلب اليهم أن يؤلفوا له الكتب التى تدعو الى التجديد فى جميع هذه الموضوعات . وأعلن أنه ألف ما يسمى « نادى كتاب اليسار »

وقد أصبح أعضاء هذا النادى نحو ستين الفاً . يرسل الى كل منهم كتاب كل شهر بغلاف طرى بثمن لايتجاوز اثنى عشر قرشاً . مع أن بعض هذه الكتب يباع عادة بنصف جنيه أو بجنيه . وانما يستطيع الناشرون أن يخفضوا الثمن الى هذا الحد المظلم لأنهم واثقون من كثرة النسخ المبيعة التى يتجمع فيها الربح القليل فيعود عظيما . وقد نشروا الى الآن أكثر من خمسين أو ستين كتابا كانت قوة للنور بين الانجليز . والناشرون يلتفتون الى التيارات السياسية فى أوربا عامة وبريطانيا خاصة . فكثير من مؤلفاتهم يتناول بالشرح والنقد روسيا وألمانيا وايطاليا وآسبانيا أى الشيوعية والفاشية وأيضا حكومة الجبهة المتحدة فى فرنسا والدعوة الى إيجاد مثلها فى بريطانيا . ولكن السياسة لاتستغرق كل المؤلفات فان هناك مؤلفات أخرى فى فلسفة اليسار . وبدهى أن العلوم التى تعالج الحقائق لايمكن أن تكون يسارية أو يمينية ولكن الاتجاه فى استغلالها قد يكون كذلك . فان المكتشفات الكيماوية قد تستعمل فى الدولة الديكتاتورية لخدمة الحرب ولكنها تستعمل لخدمة السلم فى الدولة الديمقراطية

وقد تفرعت وتطورت مجهودات هذا النادى فصار ينشر المؤلفات المختلفة لخدمة اليساريين ويطبع الكتب فى التاريخ والأدب والعلوم للمبتدئين بحيث لايزيد ثمن النسخة على ثلاثة أو أربعة قروش

والمصرى الذى يتأمل هذه المجهودات العظيمة لتربية الرأى العام فى بريطانيا يأسف عند مايرى خلو الميدان من مثل هذه الكتب فى مصر . فإن معظم مؤلفاتنا يمينية تستلهم النور من الماضى ولا تنشده فى المستقبل . وبينما تعد المؤلفات العربية عن تاريخ العرب مثلا بالمئات لا نكاد نجد كتابا فى الموضوعات الحديثة واشباكل العصرية . إذ ليس فى اللغة العربية كتاب حسن مفيد عن الفاشية فى إيطاليا أو الاشتراكية الوطنية فى ألمانيا . والقارىء المصرى يجهل الالوان المختلفة التى تصطبغ بها النهضة الصينية . وبرنامج روزفلت فى معالجة الازمة الاقتصادية لا تعرف عنه غير النبذ الموجزة التى تنقلها الينا التلغرافات . والاتجاهات الدينية الصوفية الجديدة فى أوربا لا يكاد يعرفها أحد عندنا

وقد زاد أسفنا عند مارأينا اعلاناً للمطبعة العصرية تعرض فيه مطبوعاتها بأثمان مخفضة عن أصلها . فإن صاحب هذه المطبعة هو الاستاذ الياس أنطون الياس وقد غامر ببضعة آلاف من الجنيهات وأسس مطبعة كبيرة وطبع أكثر من مائة كتاب عصرى أما منقول من المؤلفات الاوربية المشهورة وأما مؤلف بقلم أحد الادباء المصريين

ولسنا نقول أن كل هؤلاء المؤلفين كانوا يساريين ولكن كان بينهم عدد من المفكرين . وتخفيض أثمان هذه المطبوعات يدل على أنها لم تلق الرواج الذى كان ينتظر لها مع أن أثمانها الاصلية كانت فى متوسطها لا تزيد على عشرة قروش . ولو أن وزارة المعارف كانت قد اشترت من كل كتاب ثلاثمائة أو أربعمائة نسخة ووزعتها على مدارسها لكان فى هذه المساعدة تشجيع للتفكير الديمقراطى الحر هذا التفكير الذى يحتاج اليه شبابنا حتى لا يغرر بهم الرجعيون باسم الدين أو التقاليد . وقد رأينا نتائج هذا التغرير فى الصراع القائم الآن بين الديمقراطية والاوتوقراطية وضعف الوجدان الديمقراطى عند الشباب عامة والطلبة خاصه

ولست أطمع فى تأليف « نادى الكتاب اليسار » فى مصر ولكنى أرجو من كل عارف باللغة الانجليزية أن يتصل بهذا النادى فى لندن ويشترك فيه ويقرأ مؤلفاته . كما أطمع فى أن تشجع الوزارة الوفدية جميع المؤلفين الديمقراطيين وتساعد على نشر المؤلفات العصرية باشتراك وزارة المعارف فى بضع مئات منها ونحو ذلك مما يهيىء لابنائنا الايديولوجية العصرية التى تساعدنا على ايجاد رأى عام نير يتجه نحو خدمة الشعب لا خدمة الافراد

المقتطف

المقتطف مجلة تقرأها اليوم وترجع اليها فى المستقبل — ولا أدل على ذلك من مطالعة مجلداتها السابقة كل مجلد تاريخ واف للسنة التى صدر فيها . فيه وصف المستنبطات التى استنبطت والمكتشفات التى اكتشفت وأشهر حوادث التاريخ وأهم مشكلات العالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وسير أعظم الرجال وآراء أكبر العلماء وكل ما يهم المرأة معرفته من إدارة مملكتها البيتية — وكل ذلك بكلام بليغ قريب التناول وصور كثيرة وتحقيق وتمحيص اشتهر بهما المقتطف مع مقالات كثيرة فى مواضيع شتى علمية وأدبية وفلسفية فاذا كنت ممن يعنون بالنهضة الشرقية الحديثة — اذا اردت ان تطلع على ارتقاء الحضارة الغربية فى الستين سنة الماضية — اذا اردت تاريخا وافيا لسير العمران منذ أكثر من نصف قرن الى الآن . فيجب ألا تخلو مكتبتك من مجلدات المقتطف وهى تباع مفردة أو مجموعة وقيمة الاشتراك السنوى فى القطر المصرى جنيه مصرى واحد وفى الخارج بمبلغ مائة وعشرين قرشا مصريا أى ما يساوى ٦ دولارات أمريكية

ويخصم ٢٠ فى المائة لحضرات الاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من مدير المدرسة . والعنوان : إدارة المقتطف بمصر